الدخيل
في مخطوط الأزهر الأنيق
فى قصة سيدنا يوسف الصديق
للمسراتى عرض ونقد

الدكتور

محمد حسنى حسين على

مدرس التفسير وعلوم القران بكلية اصول الدين بالمنوفية

العدد الثاني والعشرون

للعام ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨م

الجزء السابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٨م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

ملخص

الدخيل في مخطوط الأزهر الأنيق
فى قصة سيدنا يوسف الصديق للمسراتى عرض ونقد

ورد في سورة يوسف مواقف كثيرة من حياة نبى الله يوسف وقف القرآن عند موطن العبرة فيها دون خوض في تفاصيل لا حاجة لها . فتسرب إلى تفسير هذه القصة القرآنية أحداث وروايات وقصص خالفت هدى القرآن ونسجت ما لا يليق قوله وما لا يصح نسبته . ومن المؤلفات التى خصت هذه السورة بالتفسير مخطوط " الزهر الأنيق في قصة سيدنا يوسف الصديق " وهو مخطوط حافل بالمعاني الجليلة إلا أنه حوى من الدخيل ما دعاني إلى عرضه ونقده حسب القواعد العلمية المتبعة في فن الدخيل .

الدكتور
محمد حسنى حسين على

Abstract

The intruder in the elegant Al Azhar manuscript

In the story of Sidna Yusuf Al - Siddiq Masrati offer and criticism

In Surat Yusuf there are many positions from the life of the Prophet of God, Yusuf, to stop the Qur'aan at the home of the abra in it without going into details that are not needed. So the interpretation of this story of Quranic events, novels and stories contradicted the guidance of the Koran and woven what is not appropriate to say and what is not true. One of the works dedicated to this surah is the interpretation of the manuscript "The elegant dice in the story of Sayyidna Yusuf al-Siddiq". It is a manuscript full of meanings. However, it contains the intruder, which invited me to present it and critique it according to the scientific rules of the art of the intruder.

Dr.

Mohamed Hosny Hussein Ali

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رافع السماوات وسامع الأصوات على اختلاف اللغات والصلاة والسلام على سيد السادات ورحمة الله للمخلوقات نبينا محمد المبعوث بالبينات والحجج القاهرات وعلى آله وصحبه ذوى الرتب العاليات .

وبعد

فقد أنزل الله القرآن نوراً وهداية للعالمين وأودع فيه من فنون القصص ما حوى جماع الحكمة وخلاصة العبرة من سير الأولين من المرسلين وأممهم ،وكان من أحسن القصص الذى قصه القرآن قصة النبى الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف: ٣

وقد ورد في هذه السورة مواقف كثيرة من حياة نبى الله يوسف وقف القرآن عند موطن العبرة فيها دون خوض في تفاصيل لا حاجة لها. فتسرب إلى تفسير هذه القصة القرآنية أحداث وروايات وقصص خالفت هدى القرآن ونسجت ما لايليق قوله وما لا يصح نسبته . ومن المؤلفات التى خصت هذه السورة بالتفسير مخطوط" الزهر الأنيق في قصة سيدنا يوسف الصديق " وهو مخطوط حافل بالمعاني الجليلة إلا أنه حوى من الدخيل ما دعانى إلى عرضه ونقده حسب القواعد العلمية المتبعة في فن الدخيل .

وقد اقتضت طبيعة الدراسة لهذا المخطوط الترجمة لصاحبه وتوثيق نسبة المخطوط له ووصف عام للمخطوط

ثم منهج الدراسة ثم الدراسة التفصيلية للدخيل بالمخطوط ثم الفهارس .

مؤلف المخطوط

الإمام الشيخ : عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي القيرواني المعروف بابن غلاب، أبو محمد، الفقيه الصوفي.

قرأ على الشيخ الصوفي الصالح أبي يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني، ولقي الشيخ أبا هلال السدادي (نسبة إلى سدادة بالجريد)، وأخذ القراءات السبع، والفقه، والحديث عن أبي زكرياء يحيى بن محمد البرقي المهدوي، وقرأ عليه جماعة منهم ابنه عبد الرحمن، والمحدث المؤرخ عبد الرحمن بن محمد الدباغ الأنصاري الذي قال في حقه: «هو شيخي ومعلمي، وأحد من أنعم عليّ بصحبته، اختلفت إليه كثيرا فلم تر عيني قط مثله نسكا وفضلا وصيانة لنفسه وانقباضا عن الناس، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما رأيت أحفظ منه لأخبار الصالحين وحكاياتهم حسن الإيراد لها، متفننا لما قد يحكيه منها، أنيس المجالسة مليح المحادثة».

توفي بالقيروان ضحى يوم الخميس٢٥صفر سنة ست وأربعين وستمائة، ودفن في الغد يوم الجمعة بباب تونس خارج القيروان "[١] ".

---

١ – تراجم المؤلفين التونسيين ص ٣٢٢ج٤ المؤلف: محمد محفوظ – الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ط: الثانية، ١٩٩٤ م

توثيق نسبة المخطوط إليه

جاء في إيضاح المكنون "الزهر الانيق في قصة سيدنا يوسف الصديق – لعبد السلام بن عبد الغالب المذكور"١"

" مؤلفاته: الزهر الأنيق في قصة سيدنا يوسف الصديق، قال ابن ناجي: وتكلم في ذلك بكلام حسن ويخرج في كلامه لتدقيقات وإشارات ""٢ "

وصف المخطوط

المخطوط الذى اعتمدت عليه هو نسخة بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم حضرموت اليمن عدد لوحاتها ٧٦ لوحة = ١٥٦ صفحة في كل صفحة ٢١ سطر ــ وعلى اللوحة الأولى خاتم الهيئة العامة للآثار والمتاحف والمخطوطات برقم ١٥٠٢ ــ الناسخ تقى الدين محمد بن عبد الجواد بن محمد البرمونى .

ولها نسخة في مكتبة الحرم المكى تحت رقم ٢٣٥ تفسير– ونسخة دار الكتب الوطنية بتونس برقم ٤٥٢٨.

---

١ – إيضاح المكنون ٦١٦ ج١ للعالم الفاضل الاديب والمورخ اسماعيل باشا بن محمد امين البابانى – دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان

٢ – تراجم المؤلفين التونسيين ص ٣٢٢ج٤ – ونسبها إليه صاحب هدية العارفين ص ٣٠٠ ج ١ – ونسبها إليه في خزانة الكتب ص ١ج ١٤٥

منهج البحث والدراسة

صارت خطة البحث فى هذا العمل على النحو التالى:-

١/استقراء تفسير سورة يوسف موضوع الدراسة وتدوين مواضع الـــدخيل فى تفسير كل آية ٠

٢/تخر يج الأقوال والروايات ونسبتها إلى قائليها ومصادرها الواردة منها ٠

٣/الحكم على الروايات من خلال بيان تعارضها مع القرآن أوالسنة إن كـــان ثمة تعارض وكذا بيان حكم العلماء على الروايات من خلال كتب الجرح والتعديل وكتب الحديث وشروحه وأقوال المفسرين وغيرهم٠

٤/ مناقشة الأقوال والرد عليها

٥/ تخريج الأحاديث النبوية من مظانها والحكم عليها ٠

٦/ بيان معانى المفردات الغر يبة من خلال كتب اللغة والغر يب ٠

٧/نسبة الأبيات الشعر ية إلى قائليها من خلال مصادرها

التمهيد

تعريف الأصيـــــل في التفسير

قبل عرض معانى الدخيل فى اللغة ومعناه عند أهل الإصطلاح أبـين أولا ما هو الأصيل الذى يعتبر فى التفسير ويعتمد عليه فـي فهـم القـرآن ودلالاته ، فأقول : إن الأصيل عند أهل اللغة تدور مادته على معانى الثبـات والرسوخ والتمكن جاء فى لسان العرب " أَصُل الشيءُ صار ذا أَصل ويقـال اسْتَأْصَلَتْ هذه الشجرةُ أَي ثبت أَصلها وأَصَل الشيءَ قَتَله عِلْماً فعَرَف أَصلَه ويقال إِنَّ النخلَ بأَرضِنا لأَصِيلٌ أَي هو به لا يزال ولا يَفْنى ورَأْيٌ أَصيل لـه أَصل ورجل أَصيل ثابت الرأْي عاقل "[١] "وفى تاج العـروس " أَصُـلَ الـرَّأي أَصالَةً : جاد واسْتَحْكَمَ والأَصِيلُ : مَنْ لَه أَصْلٌ ، أي : نَسَـبٌ ، وقـالَ أَبـو البَقاءِ : هو المُتَمكنُ في أَصْلِهِ ويُقال : رَجُلٌ أَصِيلُ الرَّأي ، أي مُحْكَمُه " [٢]"

وفى المصباح المنير" اسْتَأْصَلَ الشيء ثبت أصله وقوي"[٣].

وفى الإصطلاح:- "هـو التفسـير الـذي لـه أصـل فـي الـدين، أو بمعنى آخر: هو التفسير الذي يستمد روحه من كتاب الله ــ عز وجل ــ أو من سنة رسوله ﷺ، أو من أقـوال الصـحابة والتـابعين ﷺ أجمعـين"

١ – لسان العرب للعلامة محمد بن منظور صـ ١٦ ج ١١ ط دار صادر بيروت.
٢ – تاج العروس للعلامة محمد بن محمد الزبيدى صـ٤٤٨ ج٢٧ دار الهداية .
٣ – المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد المقرى صـ١٦ ج١ ط المكتبة العلمية بيروت.

[١]"وعرف أيضا "هو ما كان من قبيل الرأي المحمود، الموافق لكلام العـرب ومناحيهم، في القول الموافق للكتاب والسنة، والمراعي لشروط التفسير"[٢]"

فالتفسير الأصيل الذى يعتبر ويعتمد عليه لايخرج عن أحـد أمـرين اثنين يقدم أولهما على ثانيهما ما تيسر الوصول إليه٠

الأول:- تفسير بمأثور من تفسير للقرآن بالقرآن، أو تفسير للقرآن بالسنة الصحيحة"[٣]" أو قول صحابي"[٤]" صح السند إليه، أو قـول تـابعى "[٥]" سلم الطريق عنه٠

الثـانى:- تفسير بالرأى والإجتهاد الناتج عـن إسـتيفاء شـروطه وتوفر أدواته ورسوخ ملكاته٠

فالقرآن هو الأصل الأول فى معرفة معانيه ودلالاته ومقاصده فلـيس أعلم من رب العالمين بمقصود كلامه المقدس فإن لم يتـوفر ففـى الأصـل

---

٤ - الدخيل في تفسير القرآن الكريم د/عبدالوهاب فايد ص١٣.

٢ - الدخيل في التفسيرأ.د /إبراهيم خليفه صـ ٢٨٧ ج ١ط دار لبنان بمصر.

٢- السنة لغة / السيرة حسنة كانت أو قبيحة قال خالد بن عتبة الهذلي/ فلا تجزعن من سيرة أنت سرتها٠ فأول راض سيرة من يسيرها لسان العرب لابن منظورص٢٢٢ج١ ٠ وفـى الإصطلاح/ هي مأضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أوتقرير أووصف خلقي أو خلقي، وقيل إن السنة تشمل القول والفعل والتقرير والصفة وإن الحديث خـاص بقول النبى أو فعله وعليه فالسنة أعم من الحديث ، ضوء القمر على نخبة الفكر لابن حجر العسقلانى ص١٤و١٥ط دار المعارف بمصر٠

٣- الصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما ومات على إسلامه ،تدريب الراوى للسيوطى ص٢٠٩ج٢ط دار إحياء السنة ط الثانية١٩٧٩م٠

٤- التابعى هو من صحب صحابيا ولا يكتفى فيه بمجرد اللقى ،وقيل هو مـن لقيـه وإن لـم يصحبه، تدريب الراوى ص٢٣٤ج٢.

الثانى السنة التى هى بمثابة الشارح للكثير الغالب من أحكام القرآن ومعانيه بنص كلام رب العالمين عن رسوله الكريم ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ النحل: ٤٤ ثم الأصل الثالث والمرجع التالى للسنة وهو أقوال الصحابة الذين شاهدوا من الوقائع والأحداث التى حفت نزول القرآن ولابست نزوله ما لم يتهيأ لغيرهم وما تميزوا به من سعة العلم وصافى الفهم وعميق الإدراك لدلائل الكلام الإلهى المقدس ثم يأتى من بعدهم المأثور عن التابعين الذين ارتووا من علم الصحابة وحملوه عنهم، ثم ما فتح الله به على علماء الإسلام المجتهدين الذين توسعوا فى العلم وأخذوا بحجز العلوم الموصلة إلى فهم المعانى واستنباط المقاصد والأحكام، باطنهم وظاهرهم الإخلاص وسلامة المقصد يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "[١]" (فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل فى مكان فإنه قد فسر فى موضع آخر وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قال الإمام محمد بن إدريس الشافعى كل ما حكم به رسول الله صلى الله عيه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾النساء: ١٠٥والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه فإن لم

١ – هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحرانى شيخ الإسلام ولد سنة٦٦١ هـ بحران وبرع في التفسير والحديث وكان متوقد الذكاء رأسا فى الكرم والشجاعة توفى سنة ٧٢٨ هـ٠ ذيول العبر فى خبر من غبر للذهبى ص ٨٤ج٤ط دار الكتب العلمية بيروت٠

تجده فمن السنة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ"[١]" حين بعثه إلى اليمن :(بم تحكم؟ قال بكتاب الله قال فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيى ٠ قال فصرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره وقال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله)"[٢]" وإذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح ، وإذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة فى ذلك إلى أقوال التابعين. وأما تفسير القرآن بمجرد الرأى فحرام أما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه ولهذا روى عن هؤلاءوغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه) "[٣]".

١- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ الأنصارى الخزرجى أبو عبد الرحمن ،شهد بدرا والمشاهد بعدها وقد بعثه النبى قاضيا إلى اليمن ومناقبه كثيره ، توفى بالشام سنة ١٨هـ الإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ص٢١٩ ج٩ط مكتبة الكليات الأزهرية ط أولى ٠

٢- أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب الأقضية ،باب اجتهاد الرأى فى القضاء، ح رقم ٣٥٩٠ ج٣ص ٣٠٣ ط دار إحياء التراث العربي، قال الألبانى ضعيف- واحمد في المسند عن ناس من أصحاب معاذ ج ٥ ص٢٤٢ ط المكتب الإسلامى٠

٣- مقدمه في أصول التفسير لابن تيميه ص٣٩ إلى ٥٠ بتصرف اختصاراً. منشورات دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان٠والحرمة فى التفسير بالرأى يقصد بها التفسير بالرأى المذموم الذى لم يستوف الأدوات والعلوم المؤهلة لهذا العلم أو كان التفسير بمجرد الهوى٠فإن استوفى المفسر شروط التفسير كان تفسيره من قبيل الرأى المحمود٠

تعريف الدخيل في التفسير

فى كتب اللغة يدور معنى الدخيل حول معانى الفساد والعيب وعدم الإستواء جاء فى أساس البلاغة(وفيه دَخلُ وَدَخل عيب وشئ مدخول وطعام مدخول ومسروف ونخلة مدخولة عفنة الجوف وقد دُخلت سلعتك عيبت) "[١]" وفى لسان العرب(ودخيل الرجل الذى يداخله فى أموره كلها فهو له دخيل والدَخَل ما داخل الإنسان من فساد فى عقل أو جسم وقد دَخِلَ دَخَلا فهو مدخول أى فى عقله دخل والدخل بالتحريك العيب والغش والفساد والمدخول للمهزول والداخل فى جوفه الهزال ورجل مدخول الحسب وفلان مدخول فى بنى فلان إذا كان من غيرهم فتدخل فيهم) "[٢]" وعبارة المصباح (وفلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبهم بل هو نزيل بينهم ومنه قيل هذا الفرع دخيل فى الباب ومعناه أنه ذكر استطراداً ومناسبة ولا يشتمل عليه عقد الباب)"[٣]"إذن فالدخيل لايخرج عن كونه عيباً وفساداً تسلل إلى رحاب الأصيل من تفسير القرآن حتى يحتاج إلى بذل الفكر وعمق التأمل حتى يتميز الخبيث من الطيب.

١- أساس البلاغة للزمخشرى ص١٨٤ط دار صادر بيروت ١٩٧٩م٠

٢- لسان العرب لابن منظور ص٩٥٦ ج١ .

٣- المصباح المنير للفيومي ص١٩٠ .

٤- الدخيل في التفسير أ.د إبراهيم خليفة ص ٤٠.ويراجع صـ٦٠ فى بيان أنواع الدخيل.

الدخيل اصطلاحاً :- تعددت تعريفات الدخيل عند العلماء:-

١- عرف الدخيل بأنه(ما نقل من التفسير و لم يثبت نقله أو ثبت ولكن على خلاف شرط القبول أو كان من قبيل الرأي الفاسد)"[١]".

٢- عرف بأنه (كل ما تطرق إلى التفسير من الأخبار و الروايات الضعيفة أو الموضوعة، أو من القطع بأن مراد الله تعالى كذا وكذا من غير دليل، والأقوال التي تقرر المذهب الفاسد ومن السير مع الهوى والاستحسان و غير ذلك من الدخيل في التفسير)"٢".

١- منحة الجليل في التنبيه على ما في التفسير من الدخيل د/ سيد مرسى إبراهيم ص ٢٣ طبعه أولى سنة ١٩٨٥م.

قسم الدراسة

١- قال الإمام فى سبب نزول سورة يوسف عليه السلام ما نصه "جاءت طائفة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد نحن قوم لا نهتدى إلى كتاب ولا إلى علم من العلوم وليس فينا من قرأ الكتب السالفة وإن آباءنا عبدوا الأصنام ألفى ومائتى سنة أفنؤمن بك وماسمعنا أن الله تعالى أرسل رسولا إلى خلقه من جنسهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى علم أنكم لا تهتدون إلى ما قلتم فأنزل الله علىّ "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم " الجمعة ٢ - فاسئلوا أهل التوراة والإنجيل عنى فإنهم يخبرونكم عنى قال فذهبوا واجتمعوا فى دار عكرمة بن أبى جهل ثم كتبوا كتابا إلى كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب وذكروا جميع ما في رسول الله صلى الله عليه وسلم من نعته وصفته فقالوا: ظهر فينا رجل من شأنه كيت وكيت وهو يدعى النبوة فاكتبوا لنا إن كان عندكم خبر قال فلما قرأ اليهود الكتاب اهتزت أركانهم مما عرفوا فيه من الحق وقابلوا ذلك بالتوراة فوجدوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ذكر لهم كما قال الله تعالى " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم " البقرة ١٤٦- ثم قالوا: سلوه ثلاث مسائل فإن أجاب عنها فهو رسول إليكم لا إلينا فإن الله قد بعث إلى بنى اسرائيل رسولا منهم وهذا بعثه الله عز وجل إليكم لأنه من العرب قال فلما وصل الكتاب إليهم قالوا يا محمد أخبرنا عن ذى القرنين وعن الروح وعن يوسف بن يعقوب فقال أنا أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله تعالى فبطئ عنه الوحى ثلاثة أيام فأنزل الله تعالى سورة يوسف عليه السلام"[١]"

١- مخطوط الزهر الأنيق في قصة يوسف الصديق لوحة ٢.

بيان الدخيل

هذا السبب المذكور لنزول السورة الكريمة لا صحة له بل لم أجده مخرجا فى مصدر من مصادر الحديث أو كتب أسباب النزول أو كتب التفسير على اختلاف مشاربها إذ قوله حكاية فى النص " وسلوه عن يوسف بن يعقوب " ملحقا بالسؤال عن ذى القرنين وعن الروح إدراج لنص غير موجود فى الصحيح الوارد فى سبب نزول قوله تعالى "ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى " الإسراء ٨٥- ونزول ختام سورة الكهف (فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،

قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي خَرِبِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَى عَسِيبٍ"[1] مَعَهُ فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ تَسْأَلُوهُ، لاَ يَجِيءُ فِيهِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَنَسْأَلَنَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا الرُّوحُ فَسَكَتَ فَقُلْتُ إِنَّهُ يُوحى إِلَيْهِ، فَقُمْتُ فَلَمَّا انْجَلَى عَنْهُ، فَقَالَ: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً)"[2]

و"عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا : سلوه عن الروح فنزلت : ﴿ ويسألونك عن

١- العسيب: هو جريد النخل، وهو عود قضبان النخل كانوا يكشطون خوصها ويتخذونها عصيًّا، وكانوا يكتبون في طرفه العريض منه . مطالع الأنوار على صحاح الآثار إبراهيم بن يوسف بن قرقول صـ ٤٠ ج ٥ ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر ط الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٢- أخرجه البخارى في صحيحه كتاب العلم - باب قول الله تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" صـ٣٨ ج ١ حديث رقم١٢٥ ط دار طوق النجاة ط الأولى ١٤٢٢هـ.

الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ قالوا : نحن لم نؤت من العلم إلا قليلا و قد أوتينا التوراة فيها حكم الله و من أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا قال : فنزلت : ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ "[١].

والصحيح فى سبب نزول السورة الكريمة

ما جاء فى الحديث "عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ سَعْدٍ- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- "فِي قَوْلِهِ- عَزَّ وَجَلَّ: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحسن القصص ...) الْآيَةَ. قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَتَلَاهُ عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ- تَعَالَى-: الر. تِلْكَ آيَاتُ الكتاب المبين) إلى قوله (نحن نقص عليك أحسن القصص ...) الْآيَةَ. فَتَلَاهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم - زماناً. فقالوا: يا رسول الله، لوحدثتنا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا متشابهاً ...) الْآيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ، قَالَ خَلَّادٌ: وَزَادَ فِيهِ آخَرُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ ذَكَّرْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ- تَعَالَى: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله ...) الْآيَةَ"[٢].

١- مسند الإمام أحمد ص ٥٦ ج ٣ حديث رقم ٢٣٠٩ ت /أحمد محمد شاكر قال إسناده صحيح .دار الحديث بالقاهرة ط الأولى، ١٤١٦ هـ. والحاكم فى المستدرك ص ٥٧٩ ج ٢ قال الذهبى "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ" ط دار الكتب العلمية – بيروت ط الأولى، ١٤١١.

٢- الحديث أخرجه البوصيرى فى إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة لأبى العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري وقال "هذا حديث حسن" ص ٢٢٣ ج٦ –ت دار المشكاة للبحث العلمي – ط دار الوطن للنشر، الرياض ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م. والحاكم فى مستدركه ص ٣٧٦ ج ٢ قال هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص : صحيح .

ـ وقال الهيثمي "رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَالْبَزَّارُ نَحْوَهُ، وَفِيهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَمْرٍو الْعَنْقَزِيُّ، وَوَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَضَعَّفَهُ غَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ رِجَالُ الصَّحِيحِ" مجمع الزوائد ص ٢١٩ ج ١٠ ط مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤ هـ.

٢- جاء عند تفسير قوله تعـالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ يوسف: ٢

قال الإمام قال النبى صلى الله عليه وسلم "أحب العرب لـثلاث لأنـى عربى والقرآن عربى وكلام أهل الجنة فى الجنة عربى "[١]"

بيان الدخيل

هذا الحديث موضوع كما ذكر المحدثون . ووصف القرآن بالعربيـة صاحبته العلة المفصحة لذلك النعت قال الآلوسى رحمه الله(ولا يخفى على الخبير بمزايا الكلام أن في الكلام العربي من لطائف المعاني ودقائق الأسرار ما لا يستقل بأدائه لسان) "[٢]". وفى التحرير (وَقَدْ أَفْصَحَ عَنِ التَّعْلِيلِ الْمَقْصُودِ جُمْلَةُ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، أَيْ رَجَاءُ حُصُولِ الْعِلْمِ لَكُمْ مِنْ لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، لِأَنَّكُمْ عَرَبٌ فَنُزُولُهُ بِلُغَتِكُمْ مُشْتَمِلًا عَلَى مَا فِيهِ نَفْعُكُمْ هُوَ سَبَبٌ لِعَقْلِكُمْ مَا يَحْتَوِي عَلَيْـهِ، وَعَبَّرَ عَنِ الْعِلْمِ بِالْعَقْلِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ دَلَالَةَ الْقُرْآنِ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ قَدْ بَلَغَـتْ فِي الْوُضُوحِ حَدَّ أَنْ يَنْزِلَ مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ الْعِلْمُ مِنْهَا مَنْزِلَةَ مَنْ لَا عَقْلَ لَـهُ، وَأَنَّهُمْ مَا دَامُوا مُعْرِضِينَ عَنْهُ فَهُمْ فِي عِدَادِ غَيْرِ الْعُقَلَاءِ)"[٣]" .

١- الزهر الأنيق لوحه ٥ - ذكره ابن الجوزى في الموضوعات فقال " قال العقيلى: لا أصل له وقال ابن حبان: يحيى بن يزيد يروى المقلوبات عن الاثبات فبطل الاحتجاج به." الموضوعات لابن الجوزى صـ ٤١ ج٢. وذكره ابن عراق فى تنزيه الشريعة المرفوعة فقال " منكر وله شاهد من حديث أبي هريرة أنا عربي والقرآن عربي ولسان أهل الجنة عربي أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه الشبل بن العلاء بن عبد الرحمن له مناكير" تنزيه الشريعة صـ٣٠ ج ٢ط دار الكتب العلمية.

٢ - روح المعانى العلامة محمود الآلوسى ص ١٧٣ ج ١٢ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٣- التحرير والتنوير -محمد الطاهر بن عاشور ص ٢٠٢ ج ١٢ الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٨٤ هـ.

٣- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾ يوسف: ٥

قال الإمام" سألوا يوسف قالوا يا يوسف أنت أحب الخلق إلينا وما سمعنا منك الكذب قط فأخبرنا كيف رأيت الرؤيا قال فنكس رأسه طويلا ثم قال في نفسه إن أخبرتهم برؤياي أكون قد خالفت والدى وإن أبيت فقد كذبت وما يليق بى الكذب وما أدرى ما أفعل قالوا له بحق آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلا ما أخبرتنا فقال رأيت كذا وكذا " ."[١]"

بيان الدخيل

هذا الخبر المذكور من الإسرائيليات إذ ورد في سفر التكوين ما نصه" وَحَلُمَ يُوسُفُ حُلْمًا وَأَخْبَرَ إِخْوَتَهُ، فَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ. ٦ فَقَالَ لَهُمْ: «اسْمَعُوا هذَا الْحُلْمَ الَّذِي حَلُمْتُ: ٧فَهَا نَحْنُ حَازِمُونَ حُزَمًا فِي الْحَقْلِ، وَإِذَا حُزْمَتِي قَامَتْ وَانْتَصَبَتْ، فَاحْتَاطَتْ حُزَمُكُمْ وَسَجَدَتْ لِحُزْمَتِي». ٨فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «أَلَعَلَّكَ تَمْلِكُ عَلَيْنَا مُلْكًا أَمْ تَتَسَلَّطُ عَلَيْنَا تَسَلُّطًا؟» وَازْدَادُوا أَيْضًا بُغْضًا لَهُ مِنْ أَجْلِ أَحْلاَمِهِ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِهِ. ٩ثُمَّ حَلُمَ أَيْضًا حُلْمًا آخَرَ وَقَصَّهُ عَلَى إِخْوَتِهِ، فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ حَلُمْتُ؟ حُلْمًا أَيْضًا، وَإِذَا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا سَاجِدَةٌ لِي». ١٠وَقَصَّهُ عَلَى أَبِيهِ وَعَلَى إِخْوَتِهِ، فَانْتَهَرَهُ أَبُوهُ وَقَالَ لَهُ: «مَا هذَا الْحُلْمُ الَّذِي حَلُمْتَ؟ هَلْ نَأْتِي أَنَا وَأُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ لِنَسْجُدَ لَكَ إِلَى الأَرْضِ؟» ١١فَحَسَدَهُ إِخْوَتُهُ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَحَفِظَ الأَمْرَ."[٢].

ولا حاجة لنا بالخوض فيما أعرض القرآن عن ذكره بل فيما دل سياق الآيات على خلافه إذ نهى يعقوب عليه السلام ولده عن قص رؤياه

١- الزهر الأنيق لوحة ١٣.

٢- سفر التكوين – الإصحاح السابع والثلاثون .

على إخوته تلافيا للكيدمنهم له وطلبا لتتميم النعمة عليه فقال تعالى ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦﴾ يوسف:٥ – ٦ يقول الطاهر بن عاشور "وظاهر الآية أن يوسف عليه السلام لم يقص رؤياه على إخوته وهو المناسب لكماله الذي يبعثه على طاعة أمر أبيه . ووقع في الإسرائيليات أنه قصها عليهم فحسدوه"[١]. على أن السورة لم تذكر من أولها إلى آخرها ما يدل على أنهم علموا برؤياه أو أنهم طلبوا منه قصها عليهم ،وقدأخبر الله فى ختام السورة أن يوسف عليه السلام أخبر والده بعد أن خروا له سجدا بأن هذا السجود تأويل رؤياه التى رآها من قبل ولو كان لإخوته علم بالرؤيا وقت حدوثها لقال ياأبت ياأخوتى هذا تأويل رؤياى من قبل ولما لم يقل ذلك انصرف القول بالعلم بالرؤيا الى ماذكره القرآن لاغير ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾ يوسف: ١٠٠.

٤– ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩﴾ يوسف: ٩

قال الإمام " قيل إن دينا أخت يوسف رأت فى منامها كأن يوسف بين الذئاب وهى تنهشه فانتبهت فزعة مرعوبة ومضت إلى أبيها وهى باكية فقالت ياأبت ما فعلت بأخى يوسف ؟قال يا بنيتى قد أسلمته إلى إخوته فريدا

١– التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ص ٢١٤ ج ١٢.

وحيدا قالت يا أبت أسلمت أخى إليهم فريدا وحيدا ليتخذوه خادما كيف صنعت هذا؟ ثم مرت تسعى خلفهم فمسكت يوسف وتعلقت به وقالت لا أفارقك يا أخى أبدا.ثم إن إخوة يوسف أخذوا يوسف منها وردوها وذهبوا به فرجعت باكية حزينة ولم تزل تنظر إليه حتى غاب عن عينها فلما غاب عنها غشى عليها " [١]".

بيان الدخيل

هذه القصة لا أصل لها ولم يرد في القرآن ولا السنة ولا التاريخ ولا حتى ما يعرف بالكتاب المقدس ذكر لهذه الواقعة .وهل أخت يوسف أحرص عليه من أبيه حتى يتركه لإخوته وتتبعه هى متمسكة به مدافعة عنه في صورة تعكس بدلالاتها تفريط الأب في ولده؟!!! لو أن شيئا من هذا كان لذكره القرآن وبما أن الكتاب العزيز أعرض عنه صفحا فلا خير في ذكر مثل هذه القصص التى لا يتوقف عليها موطن العبرة .

٥- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠.

قال الإمام " اعلم أن البير يقال له الجب. حفره شداد بن عاد في زمانه وكان فيه رجل صالح ممن آمن بهود عليه السلام وكان مستجاب الدعوة فلما رأى قصة يوسف من ألفى ومائتي سنة وكان قرأ في صحف شيث قصة يوسف وما يجرى له مع إخوته فقال اللهم إنى أسألك أن تؤخرنى ولا تقبض روحى حتى أرى يوسف وجماله قال فاستجاب الله دعوته وهتف به هاتف أن امض إلى جب شداد بن عاد واسكن به حتى

١- الزهر الأنيق لوحة ١٨.

يأتيك يوسف قال فذهب إلى ذلك الجب وأقام يعبد الله فيه فأنبت الله له شجرة رمان شتاء وصيفا فكان ياكل كل يوم رمانة وعلى رأسه قنديل يشعل عليه من السماء بقدرة الله تعالى فلما وصل يوسف إلى قعر الجب قام الرجل من مكانه وضمه إلى صدره وتنفس الصعداء وقال واطول شوقاه إلى لقائك يا يوسف يانبى الله لا تشكوا إخوتك إلى أحد فإن الله ساقك إلىّ لكثرة شوقى إليك وهم السبب لاجتماعى بك ثم قال استودعك الله يا يوسف وخر ميتا . قيل كان سبب وقوعه في البئر لأنه نظر يوما في المرآة فرأى جماله وحسن وجهه وقال من مثلى في الدنيا ليس أحد يشبهنى فابتلاه الله تعالى بوقوعه في الجب " [١]"

بيان الدخيل

هذه القصة لا طائل من ذكرها ولا عبرة من تسطيرها فكل ما ورد فيها لم أعثر له على أصل سوى ما أورده صاحب البحر المديد في تفسيره منسوبا للفراء"[٢]" فى شأن الجب وهو قوله "قال الفراء : كان حفره شداد بن عاد فانظره"[٣]"

---

١ – الزهر الأنيق لوحة ٢١ – ٢٢

٢– هو أبو زكرياء يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور الدَّيْلميّ الفراء كَانَ يحب الْكَلَام ويميل إِلَى الاعتزال، وَكَانَ متديّنا متورّعا، على تيه وعُجْب وتعظّم صنّف الْفراء: مَعَاني الْقُرْآن، الْبَهَاء فِيمَا تلحن فِيهِ الْعَامَّة وغيرها .توفي الفراء في طريق مَكَّة سنة سبع ومئتين. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر: المكتبة العصرية – لبنان / صيدا.

٣– البحر المديد ــ أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي ص ٣٥٩ ج ٣ دار الكتب العلمية ــ بيروت ط الثانية ٢٠٠٢ م ــ ١٤٢٣ هـ.وتفسير هميان الزاد ليوسف بن وهب الإباضى ص ٤٢/٤١ ج٨.

ثم كيف يعاقب الله يوسف وهو صغير على مثل قوله" نظر يوما في المرآة فرأى جماله وحسن وجهه وقال من مثلى في الدنيا ليس أحد يشبهني " وهو صغير لم يبلغ بعد .إن هذه القصة وما نسج على منوالها فى شأن يوسف من مثل حديث أنس" أوحى الله إلى يوسف، يا يوسف من استنقذك من الجب إذْ ألقوك فيه؟ قال: أنت يا رب. قال: من استنقذك من القتل إذ هم إخوتك أن يقتلوك؟ قال: أنت يا رب، قال: فما لك نسيتني وذكرت آدميًا؟ قال: جزعًا بذنبي، وكلمة تكلم بها لساني. قال: وعزتي لأخلدنك السجن بضع سنين"[١] " مما يحسن

الانصراف عنه إذ لا وصول لها ولا لمثلها إلا بنص من القرآن أو السنة الصحيحة. يقول الآلوسى رحمه الله "والروايات في كيفية إلقائه وما قال وما قيل له كثيرة وقد تضمنت ما يلين له الصخر لكن ليس فيها ما له سند يعول عليه "٢".

٦- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ يوسف: ١٧

قال الإمام" قيل فى الجنة خمسة من غير بنى آدم ومن غير الجن ذئب يعقوب وكلب أصحاب الكهف وناقة صالح وحمار العزير وبغلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" "٣".

١- سلسلة الأحاديث الواهية الشيخ علي حشيش ص ١٢٣قال " القصة واهية والحديث منكر، وعلته: "سلام بن أبي الصهباء".قال فيه أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري في كتابه "التاريخ الكبير" (٤-١٣٥) ترجمة (٢٢٣٤): سلام بن أبي الصهباء، حدثنا ثابت عن أنس: سلام منكر الحديث. اه.

٢- تفسير روح المعانى للآلوسى ص ١٩٨ ج ١٢. ط دار إحياء التراث العربى بيروت .

٣- الروض الأنيق لوحة ٣٠.

بيان الدخيل

هذا القول منفى صحته بحديث أبى هريرة عند الحاكم وغيره

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨] قَالَ: " يُحْشَرُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْبَهَائِمُ، وَالدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَيَبْلُغُ مِنْ عَدْلِ اللَّهِ أَنْ يَأْخُذَ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: كُونِي تُرَابًا فَذَلِكَ ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾" [1]"والموقوف على الصحابى له حكم المرفوع خاصة فيما لاسبيل للرأى فيه . والدليل هنا أثبت القصاص من جميع الكائنات ثم يقال لهم كونوا تراباً سوى من عليه الثواب والعقاب . والاستثناء من هذا العموم الوارد فى أثر أبى هريرة يحتاج إلى دليل و لا دليل يثبت دخول حمار عزير وكلب أصحاب الكهف وذئب يوسف وناقة صالح وبغلة نبينا للجنة، ومن المعلوم أن أمر الجنة غيب، لا يمكن الحكم على ثبوت من يدخلها إلا بدليل من الوحي..

٧- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ يوسف: ١٨

قال الإمام "ذهبوا من بين يدى يعقوب اصطادوا ذيبا وكسروا يديه وجروه بحبل نحو والدهم فلما مثلوه بين يدى يعقوب عليه السلام قال يا

١- أخرجه الحاكم فى المستدرك ص ٣٤٥ ج ٢ وقال "جَعْفَرٌ الْجِذْرِيُّ هَذَا هُوَ ابْنُ بُرْقَانَ، قَدِ احْتَجَّ بِهِ مُسْلِمٌ وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ ولَمْ يُخْرِجَاهُ»

ـ وعلق الذهبي على شرط مسلم . : والبزاز فى كتاب الفوائد (الغيلانيات) محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدوَيْه البغدادي الشافعي البزَّاز ص ٨١٥

ـ الناشر: دار ابن الجوزي - السعودية / الرياض .الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

ذيب بئس ما فعلت أكلت حبيبى ومؤنسى وما رحمت صغر سنه ولا أشفقت على كبر سنى فانطق الله تعالى الذيب فقال السلام عليك يا نبى الله إن لحوم الأنبياء علينا حرام وأنا برئ مما قالت أولادك علىّ والله بينى وبينهم أما قرؤوا فى صحف إبراهيم إن الزور والبهتان عظيم قال فعند ذلك نكسوا رؤوسهم فقال له يعقوب عليه السلام أيها الذئب من أين أنت ؟ قال يا نبى الله أنا ذئب غريب جئت من أرض مصر فى طلب أخ لى فارقنى ودخل ديار الشام فوجدت الذئاب أخبرونى أنه اصطاده ملك على ان يذبحه غدا ولى سبعة عشر يوما ما ذقت طعاما من حزنى عليه قال يعقوب أيها الذئب هل عندك خبر يوسف ؟ قال نعم قال فأخبرنى قال يانبى الله أنا لا أكون غمازا"[١]" فالغماز مبغوض عند الله وعند الناس والغماز لا يدخل الجنة وليس له فى رحمة الله نصيب قال يعقوب أنا أشفع لك فى أخيك قال الذيب يا نبى الله إن شفعت لى فى أخى شفعت لك فى ابنك وسالت الله ان يرده عليك ويجمع بينك وبينه ""[٢]".

---

١ - هذه الكلمة تدور حول معانى الضعف والحمق والجهالة جاء فى اللسان "والغَمَزُ بالتحريك رُذالُ المال من الإبل والغنم والضِّعافُ من الرجال والغَمِيزُ والغَمِيزَةُ ضَعْفٌ في العمل وفَهَّةٌ في العَقْل وفي التهذيب وجَهْلَة في العقل ورجل غَمَزٌ أَي ضعيف وسَمِعَ مني كلمةً فاغْتَمَزَها في عقله أَي استضعفها والغَمِيزة العَيْب". لسان العرب ص ٣٨٨ ج٥ .

٢- الزهر الأنيق لوحة ٣٣. وهذا الأثر مذكور فى معالم التنزيل للبغوى ص٢٢٣ ج ٤ .ط دار طيبة للنشر والتوزيع ط الرابعة ، ١٤١٧ هـ .وتفسير القرطبى ص ١٥١ ج٩ الناشر : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ط : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م . ولباب التأويل للخازن ص٣ ج ٤ . والسيوطى فى الدر المنثور ص ٥١٣ ج ٤ ط دار الفكر بيروت ١٩٩٣م. والعظمة لأبى الشيخ الأصبهانى – باب ذكر ساعات الليل والنهار– ج٥ ص١٧٨٦ ط دار العاصمة الرياض ط أولى ١٤٠٨هـ . ومشيخة أبي المنجى ابن اللتى . أبو المنجى عبد الله بن عمر ابن اللتي البغدادي (٦٣٥ هـ) ص ٥٢٤ . ت/ عامر حسن صبري .الناشر : مؤسسة الريان ط الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

بيان الدخيل

هذه الرواية لم يثبت رفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هى من رواية ربيعة بن يزيد الإيادى أبو شعيب الدمشـــقى ولا تعـــدوا أن تكون من أخبار بنى اسرائيل تسللت إلى التراث الإسلامى ضمن ما تســـلل من إسرائيليات . وإن كان كلام الذئب ليعقوب عليه السلام من الجائز الذى لا ينكر لكن لا سبيل إليه إلا بدليل صحيح . وكيف يكون للذئب البهيم علـــم بخبر يوسف ليسأله يعقوب دون أن يسأل العليم الخبير جل وعلا وإن هذا لو حدث لقدح فى علاقته بربه وحاش لله أن يتأتى هذا الأمر من نبى سليل بيت النبوة كيعقوب عليه السلام .

٨- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ يوسف: ١٩ .

قال الإمام "قوله تعالى " وجاءت سيارة " قيل إن مالك بن ذعر"[١]" لما سكن فى مصر رأى فى منامه فى حال سفره كأنه بأرض كنعان فرأى كـــأن الشمس نزلت من السماء فدخلت فى كمه ثم أخرجها وأقامها بين يديه وأتت سحابة بيضاء فنثرت عليه الدر وهو يلتقط ويجمع فى صندوق له فذهب إلى المعبر يسمع تأويل رؤياه فقال له المعبر لا أعبر لك إلا بشئ فأعطاه دينارين فقال له تصيب عبدا وليس بعبد ويصيبك ببركته الغنى وتبقـــى غنيـــا أنـــت وأولادك إلى يوم القيامة وتنجوا من النار ببركته وتـــدخل الجنـــة ببركتـــه

---

١ - مالك بن ذعر بن يويب بن عيفا بن مدين بن إبراهيم الخليل - (صلى الله عليه وسلم) - وكان له أربعة وعشرون ولداً ؛ فانتسبوا في لخم إلى ذعر بن حجر بن جزيلة بن لخـــم . جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٤ ج٢- علي بن أحمد بن حزم الأندلســـي : دار الكتـــب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـــ - ٢٠٠٣ م الطبعة : الثالثة

ويبقى اسمك وذكرك الى يوم القيامة قال فانصرف مالك وتجهز للسفر طمعا أن يراه وحمل جهازا للشام وقصد أرض كنعان ودمشق فلما وصل إلى أرض كنعان بقى تارة ينظر إلى السماء وتارة ينظر إلى الأرض وإذا بهاتف يهتف به ويقول له هيهات بقى بينك وبينه خمسون سنة قال فكان مالك يتردد إلى الشام فى كل سنة مرتين فلما كان بعد خمسين سنة قال لغلامه ابشر يا بشير إن وجدت هذا الغلام أنا أعتقك لوجه الله تعالى واجعل نصف مالى لك وازوجك ابنتى فلما مر بأرض كنعان رأى طيورا تطير على الجب ويطوفون حوله كما يطوف الحاج حول الكعبة وكانوا ملائكة أرسلهم الله تبارك وتعالى له فنظر إليهم فظن أنهم طيور ولم يعلم أنهم ملائكة الله تعالى لانه كان يعبد الأصنام فقالت السيارة عرجوا بنا إلى ذلك الجب عسى أن يكون قد نبع الماء قال فلما دنوا من الجب هربت البهائم وألقت ما كان عليها وقصدت إلى البير تقصد الماء فشمت رائحة يوسف فتمرغت ودنت من البئر قال فأرسل عبده بشير وخواصه وقال امضوا نحو البئر فذلك قوله تعالى " فارسلوا واردهم فأدلى دلوه " فلما دلى الدلو نزل جبريل عليه السلام وقال يا يوسف قم قال يوسف إلى أين ؟ قال جبريل أتذكر حين نظرت وجهك فى المرآة ؟ قال نعم قال ماذا قلت فى نفسك قال قلت فى نفسى لو كنت مملوكا ما قام أحد بثمنى. قال له جبريل اليوم يومك فاطلع حتى ترى ثمنك قال فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر قال بشير يا بشراى هذا غلام وكأنه الغلام العبرانى الذى نطلبه من خمسين سنة . قال فلما دخل مدينة بيسان"[١]" ازدحمت عليه أهل المدينة ينظرون إلى صورته

---

١ – بيسان: قرية من الاردن بغور الشام . الجبال و الأمكنة والمياه ، محمود بن عمر الزمخشري ص ٥ . الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد بن عبد المنعم الحميري . الناشر : مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – ط الثانية – ١٩٨٠ م

ويتعجبون من حسنه كونهم ما رأوا مثل صورته قط واتخذوا صورة مثل صورته وعبدوه مدة سنين قال النبى صلى الله عليه وسلم " النظـر إلـى الوجوه الصباح عبادة "[١]" وقال من نظر إلى وجه حسن بشـهوة كتـب الله عليه ألف ذنب " "[٢]".

بيان الدخيل

١/هذه الرواية كلها من الدخيل لم أعثر عليها فـى كتـب التفسـير والتاريخ والأخبار والتخريج مما يدل على أنها مما لاأصل له ولا يصلح ان يعتمد عليه فى التفسير دون أن يكون له ما يؤيد صحته وقبوله . فالسـيارة لفظ مبهم يصلح إطلاقه على كثيرين وتحديد واحد أو أكثر مما يندرج تحتـه يحتاج إلى نص صحيح ولذلك قال العلماء فى هذا النوع مـن الألفـاظ " إن من محاسن التنزيل الكريم وبلاغته الخارقة، هو الإيجاز في الأنبـاء التـي يقصها، والإشارة منها إلى روحها وسرها، حرصا علـى الثمـرة مـن أول الأمر، واقتصارا على موضـع الفائـدة، وبعـدا عـن مشـرب القصـاص والمؤرخين. لأن القصد من قصصه الاعتبار والذكرى. وما من حاجة إلـى تسمية تلك المبهمات كائنة ما كانت، ثم إن المفسـرين رحمهـم الله عنـوا

---

١ –ذكره ابن القيم فى المنار المنيف في الصحيح والضعيف ص ٢٤ محمد بن أبـي بكـر أيوب الزرعي أبو عبد الله .الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ط الثانية ١٤٠٣ – ١٩٨٣ت: عبد الفتاح أبو غدة . وبلفظ " عَلَيْكُمْ بِالْوُجُوهِ الْمِلاحِ وَالْحَدَقِ السُّودِ. فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَذِّبَ وَجْهًا مَلِيحًا " اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ص ١٠٤ ج ١ جلال الدين السيوطى الناشر : دار الكتب العلميـة . الفوائـد المجموعـة فـي الأحاديـث الموضوعة ص ٢١٨، محمد بن علي بن محمد الشوكاني .الناشر: دار الكتب العلميـة، بيروت، لبنان.

٢ – الزهر الأنيق لوحة ٤٥. ولم أقف على تخريج الأثر وأمارات الوضع لائحة عليه.

بالبحث والأخذ والتلقي. فكان من سلف منهم يرون فيما يرون أن من العلم تفصيل مجملات التنزيل وإبانة مبهماته. حتى جعل ذلك فنّا برأسه وألف فيه مؤلفات. ولا بأس في التوسع من العلم والازدياد منه بأي طريقة كانت. لا سيما وقد رفع عنا الحرج بالتحدث عن بني إسرائيل. إلا أنه يؤاخذ من يجزم بتعيين مبهم ما، إن كان جزمه من غير طريق القواطع فإن القاطع هو ما تواتر أو صحّ سنده إلى المعصوم، صحة لا مغمز فيها. وهذا مفقود في الأكثر"[١]".

٢/ ورد فى الرواية" فلما دلى الدلو نزل جبريل عليه السلام وقال يا يوسف قم قال يوسف إلى أين ؟ قال جبريل أتذكر حين نظرت وجهك فى المرآة ؟ قال نعم قال ماذا قلت فى نفسك قال قلت فى نفسى لو كنت مملوكا ما قام أحد بثمنى. قال له جبريل اليوم يومك فاطلع حتى ترى ثمنك".

فى هذه العبارة من اتهام يوسف بالعجب والكبر والتباهى على الخلق مالا سبيل إلى تصديقه لتنافيه مع ما جبل عليه الأنبياء من صفات التواضع والشكر لله على نعمه فى الخَلق والخُلق وتظهر فجاجة هذا الإتهام فى قوله حين نظر وجهه فى المرآة " لو كنت مملوكا ما قام أحد بثمنى " وهذا من قرائن إفتراء الرواية وانسحاب الصبغة اليهودية عليها فهم أى اليهود اعتادوا عزو مثل هذه الأباطيل وغيرها إلى الأنبياء وأسفار التوراة مسطر بها الكثير من ذلك .

ما أعتقده وهو عقيدة إسلامنا شكر الأنبياء المتوالى لنعم الله عليهم وقد ورد فى السنة "عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

١ – تفسير القاسمى ص١٨٠ ج ٨ – دار الكتب العلميه – بيروت – ط الأولى – ١٤١٨هـ

وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»"[١]" وفى رواية "عَنْ عَلِـــيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا نَظَـــرَ وَجْهَهُ فِي الْمِرْآةِ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي»"[٢]". فهذا الخلق من رسول الله كان خلق السابقين من الرسل فهم من معدن واحد إذ ينتسب رسولنا مع النبى يوسف فى أبيهم إبراهيم الخليل .

ولا يعتقد هذا التهكم والتأنيب من جبريل عليه السلام له كأنه عبـــد مذنب بما فاح من قوله له " اليوم يومك فاطلع حتى ترى ثمنك ". فليس للرواية إلا أن تلقى دبر الأذن.

٩- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾ يوسف: ٢٠

قال الإمام" إن إخوة يوسف أتوا على عادتهم إلى الجب فنظروا فلـــم يروا يوسف فاحتاطوا بالسيارة وقالوا هرب لنا عبد وبلغنا أنه نزل إلى هذا

---

١ - أخرجه ابن حبان فى صحيحه كتاب الرقائق - باب الأدعية - ذكر ما يستحب للمـــرء أن يسأل الله جل وعلا تحسين خلقه كما تفضل عليه بحسن صـــورته - ص ٢٣٩ ج ٣ قـــال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح بشاهده. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان - الناشـــر : مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤ - ١٩٩٣ تحقيق : شعيب الأرنؤوط .

٢ - أخرجه الطبرانى في المعجم الأوسط ص ٢٤٠ ج١ الناشر: دار الحـــرمين - القـــاهرة قال الهيثمى في مجمع الزوائد رواه الطبراني في الأوسط وفيه هاشم بن عيسى البزي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ص ٢٠١ ج ١٠ الناشر : دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـــ.

وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ص ١٣٨ المؤلف: أحمد بن محمد بن إسحاق بن إبـــراهيم بن أسباط بن الدِّيْنَوَرِيُّ، المعروف بـــ ابن السُّنِّي المحقق: كوثر البرني الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن - جدة / بيروت

الجب وأنكم أخذتموه فاخرجوه لنا وإلا صحنا عليكم صيحة لا يبقى فى أجسامكم أرواح قال فاخرجوه لهم من بين أمتعتهم فدنا منه يهوذا وقال إن أقررت بالعبودية نجوت قال يوسف أنا عبد وأشار أنه عبدالله تعالى قال مالك بن ذعر بكم هذا العبد ؟ قالوا إن اشتريته على عيبه بعناك . قال وما فيه من العيوب ؟ قالوا سارق كذاب . فقال مالك ما معى إلا دراهم سود تعد ولا توزن فاخذوا منه دراهم معدودة . قال ابن عباس سبعة عشر درهما، وقيل عشرون ، وقيل عشرة ، وقيل أربعة عشر ، وقيل أربعون "١".

بيان الدخيل

هذه الرواية بألفاظ متقاربة أخرجها ابن أبى حاتم والبغوى والسمرقندى والثعلبى والثعالبى والواحدى "٢" وأخرج الطبرى وابن الجوزى "٣" أقوال العلماء في عدد الدراهم التى بيع بها يوسف وأغلبها إلى ابن عباس.

---

١ – الزهر الأنيق لوحة ٣٨.

٢ – تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ص ٢١١٤ ج ٧ – الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية ط الثالثة – ١٤١٩ هـ . معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي ص٢٢٤ ج ٤ – الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع – ط الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. وبحر العلوم للسمرقندى ص ١٨٥ ج ٢ .وتفسير الثعلبى ص ١١٥٤.والجواهر الحسان للثعالبى ص ٢٥٣ ج٢ .

٣ – جامع البيان في تأويل القرآن – محمد بن جرير الطبري ص ١٤ ج ١٥ – المحقق– أحمد محمد شاكر– الناشر: مؤسسة الرسالة ط الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠. وزاد المسير لابن الجوزى ص ٤٢٢ ج ٢ ط دار الكتاب العربى بيروت . ط أولى ١٤٢٢هـ.

في إسناد هذه الروايات إلى ابن عباس :

١- سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن جنادة العوفى روى عن أبيه وروى عنه ابنه محمد بن سعد . وثقه بعضهم .وقال أحمد بن حنبل كا ن جهميا لو لم يكن هذا أيضا لم يكن يستأهل أن يكتب عنه ولا كان موضعا لذلك "[١]".

٢- الحسين بن الحسن بن عطية بن سعد العوفي قاضي بغداد يكنى أبا عبد الله روى عن أبيه وعبد الملك بن أبي سليمان روى عنه بقية بن الوليد وعمر بن شبة وأحمد بن خالد الخلال سمعت أبي يقول ذلك قال أبو محمد روى عن الأعمش سألت أبي عنه فقال ضعيف الحديث " ٢".وقال ابن حجر " ضعفه يحيى بن معين وغيره وقال ابن حبان روى أشياء لا يتابع عليها لا يجوز الاحتجاج بخبره وقال النسائي ضعيف وقيل كان العوفي هذا طويل اللحية جدا توفي سنة إحدى وخمسين وثلاث مائة انتهى وقال أبو حاتم ضعيف الحديث وقال الجوزجاني واهي الحديث وقال ابن سعد سمع سماعا كثيرا وكان ضعيفا في الحديث وذكره العقيلي في الضعفاء"٣".

٣- أسباط بن نصر أبو يوسف الهمداني سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر وقال أحاديثه عامية سقط مقلوبة الأسانيد حدثنا عبد الرحمن حدثني أبى نا محمد بن مهران الجمال قال سألت أبا نعيم عن أسباط بن نصر فقال لم يكن به بأس غير انه أهو ج حدثنا عبد الرحمن نا حرب بن إسماعيل

---

١ - لسان الميزان - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ص ٣٤ ج ٤- دار النشر : مكتب المطبوعات الاسلامية

٢ - الجرح والتعديل - لأبى حاتم الرازي ص ٤٨ ج ٣ - الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ط الأولى ١٩٥٢.

٣ - لسان الميزان لابن حجر ص ١٥٦ ج ٣.

فيما كتب الى قال قلت لأحمد أسباط بن نصر الكوفى الذي يروى عن السدى كيف حديثه قال ما أدري وكأنه ضعفه "[١]".

٤- إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبى كريمة أبو محمد السدى الكبير كذبه المعتمر بن سليمان وقال الإمام أحمد مقارب الحديث وفى موضع آخر ضعيف .وفى كتاب الساجى عنه إنه ليحسن الحديث إلا أن هذا التفسير الذى يجىء به قد جعل له إسنادا واستكلفه . وقال الساجي : صدوق وفيه نظر وقال الحافظ أبو جعفر العقيلي ضعيف وكان يتناول أبا بكر وعمر"[٢] "

استبان جليا من خلال إسناد الروايات المذكورة ضعف إسنادها ضعفا لاتقوم به الرواية سنداً يصح تفسير الآية به وقد رجح الطبر ى وثلة من المفسرين أن الزاهدين فى بيع يوسف كانوا السيارة وليس إخوته

ففى الطبرى " وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: تأويل ذلك: وشَرى إخوةُ يوسف يوسف بثمن بخس وذلك أن الله عز وجل قد أخبر عن الذين اشتروه أنهم أسرُّوا شراء يوسف من أصحابهم، خيفة أن يستشركوهم، بادّعائهم أنَّه بضاعة. ولم يقولوا ذلك إلا رغبة فيه أن يخلُص لهم دونهم، واسترخاصًا لثمنه الذي ابتاعوه به، لأنهم ابتاعوه كما قال جل ثناؤه (بثمن بخس) . ولو كان مبتاعوه من إخوته فيه من الزاهدين، لم يكن

---

١ - الجرح والتعديل ص ٣٣٢ ج٢.

٢- إكمال تهذيب الكمال : الحافظ علاء الدين مغلطاي ص ١٨٩ ج ٢ .الناشر : الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .ط الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. والجرح والتعديل ص ١٨٤ ج ٢. والكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى ص ٢٧٧ ج١ .

لقيلهم لرفقائهم:"هو بضاعة" معنى = ولا كان لشرائهم إياه، وهم فيه من الزاهدين وجهٌ، إلا أن يكونوا كانوا مغلوبًا على عقولهم ؛ لأنه محال أن يشتري صحيح العقل ما هو فيه زاهدٌ من غير إكراهِ مكرِهٍ له عليه، ثم يكذب في أمرِه الناس بأن يقول:"هو بضاعة لم أشتره"، مع زهده فيه. بل هذا القولُ من قول من هو بسلعته ضنينٌ لنفاستها عنده، ولما يرجُو من نفيس الثَّمن لها وفضلِ الربح "١"

وفى تأويلات أهل السنة " وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ" أي: كانت السيارة في يوسف من الزاهدين؛ حيث باعوه بثمن الدون والنقصان بما لا يباع مثله بمثل ذلك الثمن؛ خشية أن يجيئهم طالب؛ لما علموا أن مثل هذا لو كان مملوكًا لا يترك هكذا لا يطلب، فباعوه بأدنى ثمن يكون لهم، لا كما يبيع الرجل ملكه على رغبة منه؛ خشية الطلب والاستنقاذ من أيديهم. وقال عامة أهل التأويل: قوله: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ): إن إخوة يوسف هم الذين باعوه من السيارة (بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)، أي: لم يعرفوا منزلته ومكانه. والأول أشبه"٢".

ثم يقول الإمام الطبري تعقيبا على الاختلاف في عدد الدراهم " والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنهم باعُوه بدراهم معدودة غير موزونة، ولم يحدَّ مبلغَ ذلك بوزن ولا عدد، ولا وضع عليه دلالة في كتاب ولا خبر من الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد يحتمل

---

١ – تفسير الطبرى ص ١٠ ج١٥ .

٢ – تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) ص ٢٢١ ج ٦ محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ط الأولى ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

أن يكون كان عشرين = ويحتمل أن يكون كان اثنين وعشرين = وأن يكون كان أربعين، وأقل من ذلك وأكثر، وأيُّ ذلك كان، فإنها كانت معدودة غير موزونة ؛ وليس في العلم بمبلغ وزن ذلك فائدة تقع في دين، ولا في الجهل به دخول ضرّ فيه. والإيمان بظاهر التنزيل فرضٌ، وما عَداه فموضوعٌ عنا تكلُّفُ علمه"١".

١٠- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يوسف: ٢١

قال الإمام " بعث الملك فيطفور وزليخا وذهبوا إلى يوسف فلما وقعت عينها عليه زعقت وغشى عليها ساعة طويلة . وكانت زليخا بنت ملك الروم . وكان اسم والدها طيهوش .وكانت رأت فى منامها يوسف عليه السلام وكان بينها وبينه ستة أشهر فلما رأته فى منامها نحل جسمها ودق عظمها واصفر لونها من محبته . هذا قبل أن يتزوج بها الملك فيطفور وكان لها من العمر سبع سنين قال: فسألت أباها عما حل بها فقالت يا أبت إنى رأيت غلاما فى منامى ما رأيت مثله فافتنت به فلما انتبهت ما رأيته فصرت كما ترانى. فقال لها أبوها لو عرفت موضعه لبذلت خزائنى فى هواك قال ثم رأته مرة أخرى فقالت له بحق الذى صورك وشغلنى بك إلا ما أخبرتنى من أنت ومن أين أطلبك وهل أنت من الإنس؟ قال أنا إنسى وأنا لك وأنت لى فلا تختارى علىّ غيرى قالت لا

١ - تفسير الطبرى ص ١٦ ج١٥ .

. قال فانتبهت وبكت بكاء شديدا فقال لها والدها مالك يا مسكينة ؟ قالت يا أبت رأيته البارحة أيضا فى منامى وقال لى كذا وكذا فانتبهت كما ترانى وقد تمكن منى حبه . قال لها والدها يامسكينة : لم لا سألتيه عن مكانه ؟

قال فتجننت من حبه وأقامت مريضة سنة كاملة ثم بعد ذلك رأته فى منامها فقالت يا هذا حبك جننى حتى صرت هكذا. فبالذى صورك أخبرنى أين أطلبك ؟ قال لها اطلبينى بمصر فإنى ملكها. قال فلما انتبهت صح عقلها وقالت لوالدها يأبت رأيته البارحة وقال لى اطلبينى بمصر فإنى ملكها .

وكانت لا تفتر عن ذكره وتقول وا شوقاه إلى نظرك . قال فلما سمع الملك مقالة ابنته زليخا أرسل إلى العزيز ملك مصر بان له بنتا لا تريد سواك ولم يكن لها فى النساء شبيه فإ ن رغبت فيها أعطيتك من ملكى وأموالى ما تريد . قال فكتب إليه العزيز كتابا من جملته : من أرادنا أردناه ومن أحبنا أحببناه ولا نريد منك مالا .

قال فزينها أبوها بأحسن زينة وسير صحبتها ألف جارية وألف بغلة وأربعين حمل ديباج فلما وصلت إلى مصر، عظم سرورها ودخلت إلى دار الملك فيطفور ، و وقع بصرها عليه غطت وجهها وقالت لجاريتها من هو هذا الذى دخل علينا ؟

قالت لها جاريتها اسكتى هذا زوجك الملك قال فلما سمعت كلامها غشى عليها ولم تزل إلى الصباح .

قال فلما أصبحت قالت : وا طول سفرى ولم أبلغ وطرى . فقالت لها جاريتها ما قصتك ؟ قالت ليس هذا زوجى الذى رأيته فى منامى فإنى رأيت زوجى فى منامى ثلاث مرات وليس هو هذا . قال فهتف بها هاتف يا زليخا اصبرى فإن مصيرك تظفرى ولا تظهرى سرك للملك فإنه سبب وصلك بزوجك الذى رأيته فى منامك .

قال وإن الملك افتتن بها من حسنها وجمالها غير أنه إذا أراد أن ينام معها تنام معه جنية على صورة زليخا وهو لا يصل إليها. وكأنّ الله تعالى خلقها ليوسف لا للملك . قال فلما كان البيع ليوسف أرسل الملك إلى زليخا وهى لا تعلم من هو. فلما وقع بصرها عليه غشى عليها ساعة ثم همت أن ترمى نفسها عليه . قال فأمسكتها جاريتها فقالت اصبرى فقالت لجاريتها ويلك هذا هو الذى رأيته فى منامى هيهات والله ما أحيد عنه صبراً .

قالت لها جاريتها اسكتى كى لا يعلم الملك فيفرق بينك وبينه فقالت لجاريتها انزلى وقولى له فى أذنه لا تشغل سرك بغيرى فإن قدومى إلى هذه الأرض لأجلك وإن جميع ما أملك بين يديك فإنى رأيتك فى المنام . قال فنزلت الجارية واعلمت يوسف بذلك فقال وأنا أيضا رأيتها فى منامى ولكن لايجتمع بعضنا إلى بعض إلا بعد الأهوال والشدائد.

قال وكان للملك امرأة تسمى خنساء وكانت تكره زليخا فلما سمعت كلامها أرسلت إلى العزيز وقالت إياك أن تشترى هذا الغلام الذى كملت فيه عشر خصال : الملاحة والفصاحة والصباحة والسماحة والمروة والفتوة والصيانة والديانة والأمانة وأرادت أن تقول والنبوة فأمسك الله تعالى على لسانها كى لا يعلم به أحد.

قال ثم إن الملك قال لمالك بن ذعر بكم هذا الغلام؟ فأجابه الملَك الذى على صورته بوزنه ذهبا وبوزنه فضة وبوزنه درّا وبوزنه ياقوتا وبوزنه عنبراً وبوزنه مسكا. فقال الملِك رضيت بذلك . ثم التفت إلى وزيره وقال كم يكون وزن هذا الغلام؟ فقال الوزير إن كان هذا الغلام كما أرى فهو يرجح على جميع الدنيا وما فيها. قال فوضعوا يوسف فى كفة الميزان ووضعوا الأموال وهى خمسمائة ألف دينار فى كفة فرجح يوسف فزاد مثل ذلك فرجح يوسف قال فوضعوا مثله مرتين ورجح يوسف ولم يزالوا ينقلون الأموال ويوسف يرجح حتى لم يبق فى خزائن مصر شيء . ووزن يوسف كان أربعين رطلا "[1] "وهو ابن ثلاث عشرة سنة يومئذ .قال فلما نظر الملك إلى ذلك قال لوزيره هل بقى فى الخزائن شئ ؟قال لا قال فقام الملك وقال ما بقى عنديء. ثم قال لمالك هل لك أن تهب لى هذا الغلام قال نعم فأخذه الملك . وكان مالك بن ذعر لم ير يوسف على صورته حتى باعه للملك بجميع خزائنه فعند ذلك كشف الله تعالى الحجاب بين مالك بن ذعر وبين يوسف عليه السلام .

قال فالتفت إلى المال فرأى شيئا كثيرا . ثم التفت إلى يوسف فرآه على صورته الحقيقية فغشى عليه فظنوا أنه قد مات فلما أفاق قال له يوسف ما بالك يا مالك ! قال يا يوسف ما رأيتك منذ صحبتك إلا هذه

---

١ – الرطل: بكسر الراء وفتحها، الذي يوزن به والرطل العراقي ٥، ٤٠٧ غراما وهو المراد بكلام الفقهاء عند كلامهم على أو زان غير الفضة .

ــ رطل الفضة ٤، ١٤٢٨ غراما . معجم لغة الفقهاء ص ٢٢٣. محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي – الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

الساعة . ثم قال مالك للملك أتأذن لى حتى أكلمه كلمتين . قال أذنت لك . قال فدنا من يوسف وقال يا سيدى ألست وعدتنى أن تخبرنى بخبرك إذا وصلت إلى مصر ؟ قال نعم قال فأخبرنى فقال له يوسف أنا أخبرك على أن لا تخبر أحدا قال لا قال أنا الذى رأيتنى فى منامك فى حال صغرك وأنا يوسف بن يعقوب اسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله عليهم السلام .

فصاح مالك بن ذعر وا شؤم تجارتاه وا شؤم بختاه . قال مالك ليوسف يا سيدى إن لى بنات وليس لى ولد ذكر وأنتم أهل بيت النبوة ودعوتكم مستجابة فادع الله أن يرزقنى ولداً ذكرا. فرفع يوسف يديه إلى السماء ودعا بدعوات لم تحجب عن رب السموات فاستجاب الله دعائه ورزقه أربعة عشر ولداً ذكورا . ثم قال ليوسف أخبرنى عن ساداتك من كانوا ؟ قال لاتسألنى عنهم فإنى لا أهتك سترهم "[١]"

بيان الدخيل

أولاً :- هذه القصة يبدو للقارئ من أول اطلاع عليها الحبكة القصصية والنسج الخيالى المجانب للمنطق وما يصح بحال أن تعتبر مادة يستعان بها على تفسير قصة من أحسن القصص كما أخبر ربنا الكريم فى صدر السورة الكريمة. وغالب سياق القصة ذكرها المفسر محمد بن يوسف الإباضى فى تفسيره هميان الزاد"[٢] "وهو سرد طويل به مقتطفات عند المفسرين متناثرة فى كتب التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى .

---

١ - الروض الأنيق من لوحة ٥٣ إلى ٦١.

٢ - هميان الزاد ص ٦٧- ٧١ ج ٨ .

ومنها مقتطفات منسوبة للإخبارى الشهير وهب بن منبه" [١] " وهو ما ورد فى سياق القصة " بكم هذا الغلام؟ فأجابه الملَك الذى على صورته بوزنه ذهبا وبوزنه فضة وبوزنه درّا وبوزنه ياقوتا وبوزنه عنبراً وبوزنه مسكا"[٢]" ووهب كما هو معلوم من أقطاب الرواية الإسرائيلية لإطلاعه على كثير من تراث الأقدمين من أصحاب الرسالات السابقة على الإسلام وإن كان لا يتهم بالكذب ورغبة إفساد العقول وتعطيل العلوم .

وطلب مالك بن ذعر أن يدعو له يوسف بالذكور منسوب لأبيه يعقوب مع الشاب الذى حمل له رسالة من ولده يوسف وهو في السجن "[٣]" وهو ما يعنى تناقض الروايات وعدم اتفاقها مما يسقطها خاصة وأنها منقولة بدون إسناد والإسناد شرط لقبول الرواية من عدمها إذ لا يعرف صحة المنقول إلا بمعرفة رواته وأصله . قال ابن المبارك : ((مثل الذي يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلّم)) من طريق ابن المديني قال أبو سعيد الحداد : ((الإسناد مثل الدرج ، مثل المراقي ، فإذا زلت رجلك عن المرقاة سقطت))"[٤]".

---

١ – وهب بن منبه بن سيج بن ذي كناز من فضلاء علماء التابعين خرج له الشيخان،وكان واسع العلم كثير الإطلاع على كتب القدامى ملماً بأخبار وقصص كثيرة توفى سنة ١١٠ هـ وقيل سنة ١١٤ قال عن نفسه قرأت من كتب الله اثنين وتسعين كتاباً. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ص١٥٠ ج ١ لابن العماد الحنبلي ط دار الفكر بيروت ط الأولى ١٩٧٩م .

٢ – القول منسوب لوهب فى تفسير البغوى ص ٢٢٥ ج ٤—وتفسير السمعانى ص ١٨ ج ٣ – وتفسير الخازن ص٥١٩ ج ٢ .

٣ – تفسير مقاتل بن سليمان ص١٤٣ ج٢ – ط دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م الطبعة : الأولى .وزهر الكمام ص ٨٣ .

٤ – شرح علل الترمذي لابن رجب ص ١٢٤.

ثانياً:- ورد فى ختام القصة المذكورة "وأنا يوسف بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله عليهم السلام" القول بأن إسحاق هو ذبيح الله قول لم أعثر عليه فى كتب التفسير بالمأثور إلا فى تفسير البغوي معزواً إلى عبد الله بن يزيد بن أبى فروة

وفى الفتح السماوى " قَوْله: وَمَا رَوَى أَنه عَلَيْهِ السَّلَام سُئِلَ: أَي النّسَب أشرف؟ ، فَقَالَ: يُوسُف صديق الله بن يَعْقُوب إِسْرَائِيل الله بن إِسْحَاق ذبيح الله بن إِبْرَاهِيم خَلِيل الله. فَالصَّحِيح أَنه قَالَ: يُوسُف بن يَعْقُوب بن إِسْحَاق بن إِبْرَاهِيم، والزوائد من الرَّاوِي "[١]".يعنى أن كلمة ذبيح الله كلمة مقحمة فى النص من الراوى وليست من المتن .والروايات فى كون إسحاق ذبيح الله علق عليها أئمة الحديث بما يفيد عدم صحتها ففى مجمع الزوائد قال الهيثمى " وعن عبد الله – يعني ابن مسعود – عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه سئل : من أكرم الناس ؟ قال : يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله رواه الطبراني وبقية مدلس وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه " [٢]". وقال الألبانى فى السلسلة الضعيفة " منكر بهذا اللفظ"[٣]". أى لفظ ذبيح الله .

ومسألة الذبيح مسألة خلافية بين العلماء والراجح فيها قول الجمهور الذى ذهب إلى أن الذبيح إسماعيل وتفصيل الرد كالتالى :-

---

١ – الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ص ٩٥٥ ج ٣- زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي – الناشر: دار العاصمة – الرياض

٢ – مجمع الزوائد للهيثمى ص ٣٧١ ج٨ .

٣ – السلسلة الضعيفة ص ٥٠٨ ج١ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة : محمد ناصر الدين الألباني دار النشر : دار المعارف الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م

هذا القول أصله فى التوراة وقد تعارضت فيه نصوصها تعارضاً يثبت بطلان هذا القول وها هى ذى نصوص التوراة وما فيها من تضارب.

أ- جاء فى سفر التكوين (فولدت هاجر لإبرام ابنا. ودعا إبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر اسماعيل. كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لإبرام)"١"٠

ب- تذكر التوراة ميلاد إسحاق كذلك فتقول (وافتقد الرب سارة كما قال. وفعل الرب لسارة كما تكلم. فحملت سارة وولدت لإبراهيم ابنا فى شيخوخته. فى الوقت الذى تكلم الله عنه. ودعا إبراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته له سارة إسحاق. وختن إبراهيم إسحاق ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله. وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه)"٢"٠

ج- تذكر التوراة قصة الأمر بالذبح فتقول (وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم فقال ها آنذا فقال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المُرَّيا وأصعده هناك مُحَرْقَةً على أحد الجبال الذى أقول لك فلما أتيا إلى الموضع الذى قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب ثم مدَّ إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال هاآنذا فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لإنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى)"٣".

١- سفر التكوين- إصحاح ١٦ من ٥ إلى ١٦ صـ٢٤.

٢- سفر التكوين/ إصحاح ٢١ من ١ إلى ٦ صـ٣١,٣٠.

٣- سفر التكوين / إصحاح ٢٢ صـ٣٣,٣٢ .

هذا ما قالته التوراة بشأن الذبيح وقد تناقضت فيه تناقضاً صريحاً، فهى تخبر بأن اسماعيل رزق به إبراهيم وهو ابن ست وثمانين سنة وأنه لم يرزق بإسحاق إلا بعد بلوغه مائة سنة وهذا يعنى أن وصف الوحيد لا ينطبق على إسحاق بل ينطبق على اسماعيل لإنه لم يكن له أخ قبل مجىء إسحاق فحين يوصف إسحاق بأنه وحيد إبراهيم وأنه هو الذى وقع عليه الأمر بالذبح فهو تناقض لا يقبل ولا يصح بنص كتابهم فثبت أن الوحيد اسماعيل وعليه فهو الذى فداه الله من الذبح بعد أن أمر به والده.

٣- وردت فى كتب السنة آثار تبين أن الذبيح هو اسماعيل وليس اسحاق، اخرج الحاكم فى المستدرك بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم قال هو اسماعيل)"١"٠

وفى مسند أحمد من حديث أبى الطفيل قال (قلت لابن عباس يزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمل"٢"بالبيت وإن ذلك سنة فقال صدقوا وكذبوا قلت وما صدقوا وكذبوا، قال صدقوا رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت وكذبوا ليس بسنة، إن قريشاً قالت زمن الحديبية دعوا محمداً وأصحابه حتى يموتوا موت النغف"٣"فلما صالحوه على أن يقدموا من العام المقبل ويقيموا بمكة ثلاثة أيام فقدم رسول الله صلى الله عليه

١- الحديث أخرجه الحاكم فى المستدرك صـ٦٠٥ ج٢ قال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، قال الذهبى على شرط البخاري ومسلم.

٢- الرمل هو إسراع المشى فى الطواف. التوقيف على مهمات التعاريف صـ٣٧٤.

٣- النغف بالتحريك والغين معجمة دود يسقط من انوف الغنم والإبل وفى الصحاح الدود الذى يكون فى أنوف الإبل والغنم واحدته نغفه. لسان العرب صـ٣٣٨ ج٩. والقاموس المحيط صـ١١٠٨.

وسلم والمشركون من قبل قعيقعان"١" فقال رسول الله لأصحابه أرملوا بالبيت ثلاثاً وليس بسنة.

قلت ويزعم قومك أنه طاف بين الصفا والمروة على بعير وإن ذلك سنة، فقال صدقوا وكذبوا فقلت وما صدقوا وكذبوا، فقال صدقوا قد طاف بين الصفا والمروة على بعير، وكذبوا ليست بسنة، كان الناس لا يدفعون عن رسول الله ولا يصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه ولا تناله أيديهم. قلت ويزعم قومك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة وأن ذلك سنة، قال صدقوا إن إبراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة وعرض له شيطان قال يونس الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات قال قد تلَّه للجبين قال يونس وثم تله للجبين وعلى اسماعيل قميص أبيض وقال يا أبت إنه ليس لى ثوب تكفننى فيه غيره فاخلعه حتى تكفننى فيه فعالجه ليخلعه فنودى من خلفه﴿أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآ﴾الصافات: ١٠٤ – ١٠٥

فالتفت إبراهيم فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش، قال ثم ذهب به جبريل إلى الجمرة القصوى فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم ذهب به جبريل إلى منى قال هذا منى، قال يونس هذا مناخ الناس ثم أتى به جمعا فقال هذا المشعر الحرام ثم ذهب به إلى عرفة فقال ابن عباس هل تدرى لم

١– قعيقعان بالضم ثم الفتح بلفظ تصغير وهو اسم جبل بمكة قيل إنما سمى بذلك لأن قطوراء وجرهم لما تحاربوا قعقعت الأسلحة فيه. معجم البلدان لياقوت الحموى صـ٣٧٩ ج٤ .

سميت عرفه؟ قلت لا قال إن جبريل قال لإبراهيم عرفت، قال يونس هل عرفت قال نعم، قال ابن عباس فمن ثم سميت عرفه ثم قال هل تدرى كيف كانت التلبية؟ قلت وكيف كانت قال إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن فى الناس بالحج خفضت له الجبال رؤوسها ورفعت له القرى فأذن فى الناس بالحج)"١"٠

هذه الآثار الموقوفة على ابن عباس رضى الله عنه وضحت أن الذبيح اسماعيل وليس بإسحاق.

٤- جمهور العلماء على أن الذبيح هو إسماعيل واستدلوا على ذلك بأدلة عديدة وقد حقق هذه المسألة العلامة ابن القيم فى زاد المعاد قال رحمه الله (وإسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجها، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب مع أنه باطل بنص كتابهم فإن فيه:-

إن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه بكره وفى لفظ وحيده ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن اسماعيل هو بكر أولاده، والذى غرَّ أصحاب هذا القول أن فى التوراة التى بأيديهم: اذبح ابنك إسحاق، قال وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم لأنها تناقض قوله (اذبح بكرك ووحيدك)

١- مسند أحمد صـ٢٩٧ ج١، قال الأرنؤوط رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبى عاصم الغنوى، ولمعظم هذا الحديث شواهد وطرق يقوى بها. أقول (أبو عاصم الغنوى قال عنه يحيى بن معين ثقة. الجرح والتعديل لابن أبى حاتم صـ٤١٤ ج٩، وقال ابن حجر فى تقريب التهذيب (مقبول) صـ٤٢٥ج٢.

ولكن اليهود حسدت بني اسماعيل على هذا الشـرف، وأحبـوا أن يكون لهم وأن يسوقوه إليهم ويحتازوه لأنفسهم دون العرب ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله وكيف يسوغ أن يقال إن الذبيح إسحاق والله تعـالى قـد بشر أم إسحاق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة إنهم قالوا لإبراهيم لما أتوه بالبشرى ﴿إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٠ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فمحال أن يبشرها بأنه يكـون لها ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب أن يعقوب عليه السلام داخل فـي البشـارة فتناول البشارة لإسحاق ويعقوب في اللفظ واحد وهذا ظاهر الكلام وسياقه .

فإن قيل: لو كان الأمر كما ذكر تموه لكان يعقوب مجـروراً عطفـا علـى إسحاق فكانت القراءة (ومن وراء إسحاق يعقوب) أي ويعقوب من ورائـه إسحاق قيل:- لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشراً به لأن البشـارة قـول مخصوص وهي أول خبر سار صادق ، وقوله تعالى (ومـن وراء إسـحاق يعقوب) جملة متضمنة لهذه القيود فتكون بشارة بل حقيقـة البشـارة هـي الجملة الخبرية ولما كانت البشارة قولاً كان موضع هذه الجملة نصاً علـى الحكاية بالقول كأن المعنى : وقلنا لها : من وراء إسحاق يعقوب والقائل إذا قال : بشرت فلاناً بقدوم أخيه وثقله في أثره لـم يعقـل منـه إلا بشـارته بالأمرين جميعاً هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه البته ،ثم يضعف الجر أمر آخر وهو ضعف قولك : مررت بزيد ومن بعده عمرو ولأن العـاطف يقـوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور ، كما لا يفصل بـين حـرف الجار والمجرور ويدل عليه أيضاً أن الله سبحانه لما ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في صورة الصافات قال ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ

عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ الصافات: ١٠٣ – ١١١ثم قال تعالى ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ الصافات: ١١٢ فهذه بشارة من الله تعالى له شكراً على صبره على ما أمر به، وهذا ظاهر جداً في أن المبشر به غير الأول بل هو كالنص فيه. فإن قيل فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أى: لما صبر الأب على ما أمر وأسلم الولد لأمر الله جازاه الله على ذلك بأن أعطاه النبوة. قيل البشارة وقعت على المجموع: على ذاته ووجوده، وأن يكون نبياً، ولهذا نصب نبياً على الحال المقدر أى مقدراً نبوته فلا يمكن إخراج البشارة أن تقع على الأصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة هذا محال من الكلام بل إذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى. وأيضاً فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيراً لشأن إسماعيل وأمه وإقامة لذكر الله، ومعلوم أن اسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك فى بنائه إبراهيم وابنه اسماعيل وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد إبراهيم واسماعيل زماناً ومكاناً ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة.

وأيضاً فإن الله سبحانه سمى الذبيح حليماً لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سماه عليماً فقال تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ الذاريات: ٢٤ – ٢٥ إلى أن قال ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ الذاريات: ٢٨

وهذا إسحاق بلا ريب لأنه من امرأته وهى المبشرة به، وأما اسماعيل فمن السرية"١"،وأيضاً فإنهما بشرا به على الكبر واليأس من الولد وهذا بخلاف اسماعيل فإنه ولد قبل ذلك. وأيضاً فإن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلاً، والخلة منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وألا يشارك بينه وبين غيره فيها، فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة الخلة تنتزعها من قلب الخليل فأمره بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هى فى العزم وتوطين النفس عليه فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا وحصل مراد الرب، ومعلوم أن هذا الإمتحان والإختبار إنما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل فى المولود الأخر دون الأول، بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضى الأمر بذبحه وهذا فى غاية الظهور.

وأيضاً فإن سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فإنها كانت جارية فلما ولدت اسماعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها فى أرض مكة لتبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته تعالى ورأفته فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله، هذا مع رحمة

١- السرية هى الأمة التى بَوَّأتها بيتاً وهى فُعْلِيَّه منسوبة إلى السر وهو الجماع والإخفاء لأن الإنسان كثيراً ما يَسُرَها ويسترها عن حرقه، لسان العرب صـ٣٥٦ ج٤.

الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وأن الله لا يضيع بيت هذه وابنها وليرى عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامها مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته‌تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد إستضعافه وذله وانكساره قال تعالى ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ القصص: ٥ وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)"١"٠

وقد حقق العلامة ابن كثير الأقوال الواردة فى هذا المقام وذكر روايات المذهب القائل بأن الذبيح إسحاق وردها ببصيرة وخبرة المحدث الناقد فقال " وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضاً وليس ذلك فى كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه اسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ إلى أن يذكر رحمه الله أدلة القائلين بأنه إسحاق ويعقب عليها فيقول "وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فإنه لما أسلم فى الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضى الله

١- زاد المعاد لابن القيم ص ٧١- ٧٢ -٧٣ ج١.

عنه عن كتبه قديماً فربما استمع له عمر رضى الله عنه فترخض الناس فى استماع ما عنده ونقلوا ما عنده غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده، وقد حكى البغوي القول بأنه إسحاق عـن عمر وعلى وابن مسعود والعباس رضى الله عنهم ،ومن التابعين عن كعـب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدى قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد ورد فى ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده)"١"٠

وفى الإكليل للسيوطى "تأملت القرآن فوجدت فيه ما يقتضي القطع أو يقرب منه ولم أر من سبقني إلى استنباطه وهو أن البشارة مرتين مرة فـي قوله: ﴿ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ، رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾

فهذه الآية قاطعة في أن المبشر به هو الذبيح وقوله: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ الآية.

فقد صرح فيها أن المبشر به إسحاق ولم يكن من سؤال إبراهيم بـل قالت امرأته إنها عجوز وإنه شيخ وكان ذلك في الشام لما جاءت الملائكـة إليه بسبب قوم لوط وهو في أواخر أمره، وأما البشارة الأولى لما انتقل من العراق إلى الشام حين كان سنه لا يتغرب فيه الولد ولذلك سأله فعلمنا بذلك أنهما بشارتان في وقتين بغلامين: أحدهما بغير سؤال وهو إسحق صـريحاً .والثانية قبل ذلك بسؤال وهو غيره فقطعنا بأنه إسماعيل وهو الذبيح "٢ ".

---

١ – تفسير ابن كثير ص ــ١٦ –١٧–١٨–١٩

٢– الإكليل في استنباط التنزيل ص ٢١٨ جلال الدين السـيوطي – دار الكتـب العلميـة – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م

الخلاصة أن الذبيح هو اسماعيل وما نقل عن بعض الصحابة والتابعين من أنه إسحاق فعلى فرض ما صح منه فهو مأخوذ من روايات أهل الكتاب وما كانوا يذيعونه بين المسلمين ولا حاجة لنا به والله أعلم.

١١- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ﴾يوسف: ٢١

قال الإمام " قالت زليخا ليوسف إن العزيز أمرنى أن أكرمك فبنت له بيتا لم يكن له مثله .وجمعت حكماء زمانها وقالت أريد منكم أن تبنوا لى بيتا إذا دخل إليه يوسف في ناحية الغرب رأيت وجهه مصورا في الحائط وإن جلس في ناحية الشرق رأيت وجهه مصورا في ناحية في الحائط وفى أى ناحية جلس رأيت وجهه مصورا في ناحية البيت قالوا ينبغى هذا البيت أن يكون من الزجاج الصافى فبنوا لها بيتا مربعا على أربعة أركان ركن من الزجاج وركن من الزمرد وركن من الفيروزج وركن من البلور وقبتين قد رصعوهما بأنواع الجواهر وجعلت في كل ناحية تمثالا من الفضة له عينان من الياقوت وصوروا في ذلك البيت تمثال كل شئ من الطيور والوحوش والدواب من الذهب والفضة وغرست أسفل البيت أشجارا من الذهب وثمرها من الياقوت وجعلت سقف البيت صفايح من الذهب ونصبت في وسط البيت مائدة مزينة من كل شئ من الزينة ونصبت سريرا بالقرب من المائدة وجعلت في كل زاوية من البيت غزالا من الفضة وجاريتين من الذهب مع واحدة كاس من الذهب وإبريق من الفضة البيضاء والأخرى معها قنديل ومجمرة من الذهب وجعلت أبواب البيت من الصندل والعاج والأبنوس وعلى كل باب طاووسا من الذهب رجلاه من الياقوت ومنقاره من العقيق وزنبه من الفيروزج ورأسه من

الزمرد وجوفه مملوء مسكاً ثم جعلت في وسط البيت بيتا من القـوارير أعلاه وأسفله وحيطانه من الزجاج ثم قالت لجاريتها أنا مشغولة بمحبـة هذا الغلام العبرانى وما أدرى ما أصنع . قالت لها جاريتها تزينـى بكـل أنواع الزينة حتى أدعوه "[١] "

بيـــان الدخيل

هذه القصة لم أعثر عليها إلا في تفسير همیان الزاد وهـى قصـة تظهر على تفاصيلها الحبكة القصصية إذ هى من نسج القصاص وهى بلا إسناد يرجع إليه مما يوجب والحال كذلك طرحها من الفكر وعدم الإعتماد عليها في فهم الإكرام الذى أراده عزيز مصر ليوسف وقد ذكـر ابـن خلدون في مقدمته " التفسيرعلى صنفين: تفسير نقلي مستند إلـى الآثـار المنقولة عن السلف، وهي معرفة الناسـخ والمنسـوخ وأسـباب النـزول ومقاصد الآي. وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتـابعين. وقـد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود. والسبب في ذلك أن العرب لم يكونـوا أهـل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية. فإذا تشوقوا إلى معرفـة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات، وبدء الخليقة، وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويسـتفيدونه مـنهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى. وأهـل التـوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلـك إلا مـا تعرفـه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية. فلما

١- الزهر الأنيق ٧٤ -٧٥

أسلموا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليست مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى فيه الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات. وأصلها كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيتهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فتلقيت بالقبول من يومئذ "[١] ".

من هذا النقل يتضح مصدر تلك المرويات والقصص وسر تناقلها وتسربها إلى مظان التفسير بما يغنى عنها.

١٢- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ يوسف: ٢٣ – ٢٥

قال الإمام " لما رأته زليخا تقدمت إليه و قالت يا حبيبي وريحانة فؤادى بنيت هذا البيت من أجلك . قال يا زليخا إن ربى عز وجل بنى لى بيتا في الجنة أحسن من هذا لا يخرب أبدا . قالت يا يوسف أطعنى فيما

١ – مقدمة ابن خلدون ص ٢٥٢.

آمرك . قال أخشى أن يخسف الله الأرض ببيتك هذا. قالت يا يوسف مـا أطيب رائحتك . قال لو اطلعت علىّ في قبرى بعد ثلاثة أيـام لـوليتى هاربة منى .قالت يا يوسف ما أحسن عينيك . قال إنهما يسيلان على خدى بعد ثلاثة أيام في القبر . قالت يا يوسف ما أحسن شعرك . قال إنه أول ما يسقط في قبرى .قالت يا يوسف ما أحسن صورتك .قال إن الله عز وجل صورنى . قالت يا يوسف لم تعرض عنى ؟ قال اطلب رضـا ربـى عـز وجل. قالت أنا أتصدق بجميع ما في خزائنى وما أملكه على عبيده وأمته حتى يرضى عنك. قال إن ربى لا يقبل الرشوة .قالت أنا سمعت أن ربـك يقبل اليسير ويعطى الكثير .قال يوسف إنما يتقبل الله من المتقين .

قالت إن أمرتنى أن أترك دينى واتبع دينك فعلت ذلك . قال من يهد الله فهو المهتد. قالت يا يوسف ما تعلم ما أنا فيه من الوجد والشـوق . قال ثم إن زليخا تعبت في أمر يوسف غلقت الأبواب وقالت هيت لك . قال ابن عباس غلقت على نفسها كل شئ سوى يوسف .قال وكان للبيت أربعة أبواب وأن امرأة العزيز لما همت به جعلت تـذكر محاسـنه مـن القـد والصورة والعين والشعر حتى هم بها فإن قيل كيف يليـق بيوسـف أن يفعل مثل هذا وهو نبى الله تعالى ؟ الجواب أن أهل العلم اختلفوا فيـه : فقال بعضهم كان من جملة الأنبياء لأن الله ابتلى أنبياءه حتى إنه كلما ذكر ذلك جدّ في الطاعة خوفا من الزلة . وقيل إنما ابتلى يوسف لأنه قال في نفسه أنا خير من إخوتى لأنهم مذنبون لأنهم عقوا والدهم وفعلـوا تلـك الفعال فابتلاه الله تعالى ليكون في زمرتهم .

قوله تعالى "لولا أن رأى برهان ربه " اختلفوا فيه : فقال بعضـهم إن طيرا وقع على كتفه وقال لا تفعل فإن فعلـت سـقطت عـن درجـة

الأنبياء. وقيل إنه رأى أباه يعقوب وهو يقول يا يوسف ألا ترانى .وقيل إن يوسف رأى زليخا وهى تغطى شيئا فقال لها ما لكى قالت أغطى وجه صنمى لئلا يرانى أنا وأنت في هذا البيت فقال لها يوسف تستحى من صنمك الجامد الذى لا يعقل ولا يرى فأنا أولى استحى ممن يسمع ويرى .وقيل نودى يا يوسف اسمك من جملة الأنبياء وأنت تفعل فعل السفهاء .وقيل رأى كفا خرج من الحائط عليه مكتوب "ولا تقربوا الزنا " . وقيل رأى صورة حسنة يقول أنا رسول العصمة لاتفعل فإنك معصوم. وقيل نكس رأسه فرأى على الأرض مكتوبا " من يعمل سوءً يجز به " . وقيل رأى كأن العزيز واقف وهو يقول يا يوسف هكذا تفعل بأهل من أكرمك. وقيل كان بينه وبينها حجابا ما رآها . وقيل بدت له حورية من الجنة فتحير فيها وقال لمن أنت ؟! فقالت لمن لا يزنى . وقيل سمع قائلا يقول له لاتفعل إنها لك حلال . وقيل رأى الجب الذى كان فيه مصوراً بين عينيه ورأى ملكا قائما وهو يقول يا يوسف أنسيت مقامك في هذا الجب . وقيل رأى زليخا على صورة قبيحة فهرب منها .وقيل ناداه شخص يا يوسف انظر عن يمينك فنظر فرأى ثعبانا أعظم ما يكون فناداه الثعبان من زنى يكون في بطنى غدا ."[١] "

بيـــــان الدخيل

اشتمل قول الإمام في تفسير الآيات على جانبين .

الجانب الأول :- غزل امرأة العزيز في يوسف تلطفا واستدراجا لعواطفه .

---

١ - الزهر الأنيق ٧٦- ٧٨

الجانب الثانى :- الأقوال الواردة في المـراد بالبرهـان المـانع ليوسف من الوقوع في الفاحشة .

أما الأقوال الواردة عن غزل امرأة العزيز فقد أخرجهـا الطبـرى في تفسيره من طريق أسباط بن نصر عن السدى وأخرجها ابن أبى حـاتم في تفسيره من نفس الطريق وكذا الثعلبى من طريق السدى وابن إسحاق والسيوطى وعزاه لابن جرير وابن أبى حاتم من طريـق السـدى وكـذا صاحب زهر الكمام "[١] "

وقد سبق فى المسألة التاسعة من هذا البحث بيان الحكم علـى أسباط والسدى بضعف إسنادهما ضعفا لاتقوم به الرواية سـنداً يصـح تفسير الآية به .هذا من ناحية الإسناد.

أما من ناحية المعنى المذكور لهذه الأقوال فسياق الآيات ومعانيهـا الراقية تسجل عفة وسمواً امتنع نظيره فى مثل هذه الوقائع " قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّى أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظالمون "

يقول الإمام أبو السعود فى تفسيره " ﴿قَالَ مَعَاذَ اللهِ﴾ أي أعوذ بـاللهِ مَعاذاً مما تدعينني إليه وهذا اجتنابٌ منه على أتم الوجـوه وإشـارةٌ إلـى التعليل بأنه منكَرٌ هائلٌ يجب أن يُعاذ بالله تعالى للخلاص منـه ومـا ذاك إلا لأنه عليه السلام قد شاهده بما أراه الله تعالى من البرهان النيّر على ما هو عليه في حد ذاتِه من غاية القُبح ونهايةِ السوء وقولُه عز وجـل ﴿إِنَّهُ رَبِّى

---

١ - تفسير الطبرى ص ٣٣ ج ١٦. وتفسير ابن أبى حاتم ص ٢١٢٣ ج ٧ . والكشف والبيان والبيان للثعلبى ص ٢١٠ ج٥ . والدر المنثور للسيوطى ص ٥٠١ ج٤ . وزهـر الكمـام ص ١٠١-١٠٢ .

أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ تعليلا للامتناع ببعض الأسباب الخارجيةِ مما عسى يكون مؤثراً عندها وداعياً لها إلى اعتباره بعد التنبيهِ على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سوّلتْه لها نفسُها والضميرُ للشأن ومدارُ وضعه موضعَه ادِّعاءُ شهرتِه المُغْنية عن ذكره وفائدةُ تصديرِ الجملة به الإيدان بفَخامة مضمونِها مع ما فيه من زيادة تقريرِه في الذهن فإنَّ الضميرَ لا يُفهمُ منه من أولِ الأمرِ إلا شأنٌ مبهمٌ لهُ خطرٌ فيبقى الذهنُ مترقِّباً لما يعقُبه فيتمكنُ عندَ ورودِه لَهُ فضلُ تمكُّنٍ فكأنه قيل إن الشأنَ الخطيرَ هذا وهو ربي أي سيدي العزيزُ أحسنَ مثواي أي أحسن تعهّدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أُسيء إليه بالخيانة في حرَمه وفيه إرشادٌ لها إلى رعاية حقِّ العزيزِ بألطف وجه" [١] "

ويقول الإمام الرازى فى بيان ذلك أيضا " ذَكَرَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْجَوَابِ عَنْ كَلَامِهَا ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا: قَوْلُهُ: مَعاذَ اللَّهِ

وَالثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوايَ وَالثَّالِثُ: قَوْلُهُ: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ فَمَا وَجْهُ تَعَلُّقِ بَعْضِ هَذَا الْجَوَابِ بِبَعْضٍ؟وَالْجَوَابُ: هَذَا التَّرْتِيبُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الِانْقِيَادَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَكْلِيفِهِ أَهَمُّ الْأَشْيَاءِ لِكَثْرَةِ إِنْعَامِهِ وَأَلْطَافِهِ فِي حَقِّ الْعَبْدِ فَقَوْلُهُ: مَعاذَ اللَّهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى يَمْنَعُ عَنْ هَذَا الْعَمَلِ، وَأَيْضًا حُقُوقُ الْخَلْقِ وَاجِبَةُ الرِّعَايَةِ، فَلَمَّا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ أَنْعَمَ فِي حَقِّي يَقْبُحُ مُقَابَلَةُ إِنْعَامِهِ وَإِحْسَانِهِ بِالْإِسَاءَةِ، وَأَيْضًا صَوْنُ النَّفْسِ عَنِ الضَّرَرِ وَاجِبٌ، وَهَذِهِ اللَّذَّةُ لَذَّةٌ قَلِيلَةٌ يَتْبَعُهَا خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ شَدِيدٌ فِي الْآخِرَةِ، وَاللَّذَّةُ الْقَلِيلَةُ إِذَا لَزِمَهَا ضَرَرٌ شَدِيدٌ، فَالْعَقْلُ

---

١ – تفسير أبى السعود ص ٢٦٥ ج ٤.

يَقْتَضِي تَرْكَهَا وَالِاحْتِرَازَ عَنْهَا فَقَوْلُهُ: إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ إِشَارَةٌ إِلَيْهِ، فَثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ الْجَوَابَاتِ الثَّلَاثَةَ مُرَتَّبَةٌ عَلَى أَحْسَنِ وُجُوهِ الترتيب." [١] "

الجانب الثانى : الأقوال الواردة فى المراد بالبرهان الذى رآه يوسف عليه السلام . أخرج الطبرى غالب هذه الأقوال فقد ذكر فى تفسيره رواية الطير الذى وقع على كتفه ورواية رؤيا يوسف لوالده يعقوب ورواية تغطية امرأة العزيز لصنمها والكف المكتوب عليه لا تقربوا الزنا ومدار هذه الروايات على رواة مجروحين منهم:-

١/ سفيان بن وكيع بن الجراح سئل عنه أبو زرعة فقيل له كان يتهم بالكذب قال نعم "[٢] "

٢/ يحيى بن يمان العجلى أبو زكريا الكوفي قال الساجى ضعفه أحمد وقال حدث عن الثوري بعجائب، وقال حنبل بن إسحاق عن أحمد ليس بحجة، وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين ليس بثبت لم يكن يبالى بأى شىء حدث كان يتوهم الحديث، وقال ابن معين ليس به بأس، وقال الآجري عن أبى داود يخطىء فى الأحاديث ويقلبها، وقال النسائي ليس بالقوى ."[٣]

٣ / قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان بن ربيعة، قال ابن أبى خيثمة عن ابن معين قبيصة ثقة فى كل شىء إلا فى حديث سفيان فإنه سمع

---

١ - مفاتيح الغيب للرازى ص ٤٣٩ ج ١٨.

٢ - الجرح والتعديل لأبى حاتم الرازى ص ٢٣١ ج ٤ . والكامل فى ضعفاء الرجال ص ٤١٣ ج ٣. والمجروحين لابن حبان ص ٣٥٩ ج ١.

٣ - تهذيب التهذيب ص ٢٦٨ ج١١ .

منه وهو صغير، وقال صالح بن محمد كان رجلاً صالحاً تكلموا فى سماعه من سفيان ."١ "

٤/ مالك بن سعير التميمى أبو محمد ويقال أبو الأحوص الكوفي قال أبو زرعة وأبو حاتم صدوق، وقال أبو داود ضعيف وقال الدارقطني صدوق وقال الأزدى عنده مناكير ."٢ "

<u>هذا من جانب الدراسة للسند.</u>

أما من ناحية ما دل عليه من المعانى والأحكام التى تلوث العقول والأفكار فقد ردها العلماء والمحققون . وكان من أنفس هذه الردود رد الإمام الفخر الرازى ورد صاحب تفسير المنار عليهما الرحمة والرضوان :-

قال الرازى "واعلم أن الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرأة وزوجها والنسوة والشهود ورب العالمين شهد ببراءته عن الذنب ، وإبليس أقر ببراءته أيضاً عن المعصية ، وإذا كان الأمر كذلك ، فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب. أما بيان أن يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام : (هِيَ رَاوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى) (يوسف : ٢٦) وقوله عليه السلام :(رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْه) (يوسف : ٣٣) وأما بيان أن المرأة اعترفت بذلك فلأنها قالت للنسوة : (وَلَقَدْ رَاوَدتُّه عَن نَّفْسِه فَاسْتَعْصَمَ) (يوسف : ٣٢) وأيضاً قالت (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِه قُلْنَ حَاشَ للّه ما علمنا عليه من سوء) (يوسف : ٥١) وأما بيان أن زوج المرأة أقر بذلك فهو قوله

١- تهذيب التهذيب ص ٣١٢ ج ٨ .

٢- تهذيب التهذيب ص ١٥ ج ١٠.

(إنّه مِن كَيْدِكُنّ إنّ كَيْدَكُنّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـــذا وَاسْـتَغْفِرِى لِذَنبك) (يوسف : ٢٨ ، ٢٩) وأما الشهود فقوله تعالى (وَشَهِدَ شَـاهِدٌ مِّـنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُه قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَـــاذِبِينَ) (يوسـف : ٢٦) وأما شهادة الله تعالى بذلك فقولـه (كَـذَالِكَ لِنَصْـرِفَ عَنْـهُ السُّـوء وَالْفَحْشَاءَ إِنّه مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) (يوسف : ٢٤) فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات : أولها : قوله (لِنَصْرِفَ عَنْـهُ السُّـوءَ) واللام للتأكيد والمبالغة.

والثاني : قوله : (وَالْفَحْشَاءَ) أي كـذلك لنصـرف عنـه السـوء والفحشاء. والثالث : قوله : (إِنّه مِنْ عِبَادِنَا) مع أنه تعالى قـال : (وَعِبَـادُ الرَّحْمَـنِ الّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الارْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَـاهِلُونَ قَـالُوا سَلَـامًا) (الفرقان : ٦٣) والرابع : قوله : (الْمُخْلَصِينَ) وفيه قراءتان : تارة باسم الفاعل وأخرى باسم / المفعول فوروده باسم الفاعل يدل علـى كونـه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص. ووروده باسم المفعول يدل على أن الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته ، وعلى كلا الوجهين فإنه من أدل الألفاظ على كونه منزهاً عما أضافوه إليه ، وأما بيان أن إبليس أقر بطهارته ، فلأنه قال (فبعزتـك لأغـوينهم أجمعـين * إلا عبـادك مـنهم المخلصين) (ص : ٨٢ ، ٨٣) فأقر بأنه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فكان هذا إقـراراً مـن إبليس بأنه ما أغواه وما أضله عن طريقة الهدى ، وعند هذا نقول :-هؤلاء الجهال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى على طهارته وإن كانوا مـن أتبـاع

إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في أول الأمر تلامذة إبليس إلى أن تخرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة"١".

وهذا تحقيق نفيس للشيخ رشيد رضا رحمه الله نصه ما يلى :-

"ذَهَبَ الْجُمْهُورُ وَالْمَخْذُوعُونَ بِالرِّوَايَاتِ إِلَى أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهَا هَمَّتْ بِفِعْلِ الْفَاحِشَةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهَا مُعَارِضٌ وَلَا مَانِعٌ مِنْهَا ، وَهَمَّ هُوَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ لَاقْتَرَفَهَا وَلَمْ يَسْتَحِ بَعْضُهُمْ أَنْ يَرْوِيَ أَخْبَارَ اهْتِيَاجِهِ وَتَهَوُّكِهِ فِيهِ وَوَصْفِ انْهِمَاكِهِ وَإِسْرَافِهِ فِي تَنْفِيذِهِ ، وَتَهَتُّكَ الْمَرْأَةِ فِي تَبَذُّلِهَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، مَا لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا مِنْ أَوْقَحِ الْفُسَّاقِ الْمُسْرِفِينَ الْمُسْتَهْتَرِينَ، الَّذِينَ طَالَ عَلَيْهِمْ عَهْدُ اسْتِبَاحَةِ الْفَوَاحِشِ وَأُلْفَتِهَا حَتَّى خَلَعُوا الْعِذَارَ ، وَتَجَرَّدُوا مِنْ جَلَابِيبِ الْحَيَاءِ ، وَأَمْسَوْا عُرَاةً مِنْ لِبَاسِ التَّقْوَى وَحُلَلِ الْآدَابِ فَإِنَّ مِثْلَ هَذَا الَّذِي افْتَرَوْهُ فِي قِصَّةِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ مِمَّنِ ابْتُلِيَ بِالْمَعْصِيَةِ أَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ سَلِيمِي الْفِطْرَةِ ، وَلَا مِنْ سُذَّجِ الْأَعْرَابِ الَّذِينَ لَمْ تَغْلِبْهُمْ سَوْرَةُ الشَّهْوَةِ الْجَامِحَةِ عَلَى حَيَائِهِمُ الْفِطْرِيِّ ، وَإِيمَانِهِمْ وَحَيَائِهِمْ مِنْ نَظَرِ رَبِّهِمْ إِلَيْهِمْ ،فَضْلًا عَنْ نَبِيٍّ عَصَمَهُ اللهُ وَوَصَفَهُ بِمَا وَصَفَ ، وَشَهِدَ لَهُ بِمَا شَهِدَ ، وَقَدْ بَلَغَ بِبَعْضِهِمْ (كَالسُّدِّيِّ) أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لَمْ يَرَ بُرْهَانًا وَاحِدًا ، بَلْ رَأَى عِدَّةَ بَرَاهِينَ مِنْ رُؤْيَةِ وَالِدِهِ مُتَمَثِّلًا لَهُ مُنْكِرًا عَلَيْهِ ، وَتَكْرَارِ وَعْظِهِ لَهُ ، وَمِنْ رُؤْيَةِ بَعْضِ الْمَلَائِكَةِ وَنُزُولِهِمْ عَلَيْهِ بِأَشَدِّ زَوَاجِرِ الْقُرْآنِ بِآيَاتٍ مِنْ سُوَرِهِ ، فَلَمْ تَنْهَهُ مِنْ شَبَقِهِ ، وَلَمْ تَنْهَهُ عَنْ غَيِّهِ ، حَتَّى كَانَ أَنْ خَرَجَتْ شَهْوَتُهُ مِنْ أَظَافِرِهِ ، وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ لَمْ يَكُفَّ إِلَّا عَجْزًا عَنِ الْإِمْضَاءِ ، أَفَبِهَذَا صَرَفَ اللهُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ، وَكَانَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُخْلَصِينَ ، وَأَنْبِيَائِهِ الْمُصْطَفَيْنَ الْمُجْتَبَيْنَ الْأَخْيَارِ ؟

---

١ – تفسير الرازى صـ١١٨,١١٩ ج٩ جزء ١٨.

وَلَئِنْ كَانَ عُقَلَاءُ الْمُفَسِّرِينَ أَنْكَرُوا هَذِهِ الرِّوَايَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ ، حِمَايَةً لِعَقِيدَةِ عِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكَدْ يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ تَأْثِيرِ بَعْضِهَا فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَتَسْلِيمِهِمْ لَهُمْ أَنَّ الْهَمَّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ كَانَ بِمَعْنَى الْعَزْمِ عَلَى الْفَاحِشَةِ ، إِلَّا مَنْ خَالَفَ قَوَاعِدَ اللُّغَةِ فَقَالَ إِنَّ قَوْلَهُ – تَعَالَى – : (وَهَمَّ بِهَا) جَوَابٌ لِقَوْلِهِ : (لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)وَمَنْ قَالَ : إِنَّ جَوَابَهُ مَحْذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ ، فَهُوَ عَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ لَمْ يَهُمَّ بِشَيْءٍ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُتَبَادَرِ مِنَ الْعِبَارَةِ أَوْ ظَاهِرِهَا ، وَتَأَوَّلَهُ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ هَمَّهُ بِالْفَاحِشَةِ بِمُقْتَضَى الدَّاعِيَةِ الْفِطْرِيَّةِ لَا يُنَافِي الْعِصْمَةَ ، وَإِنَّمَا يُنَافِيهَا طَاعَتُهَا بِدَلِيلِ مَا صَحَّ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ (مَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَفْعَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ)"[1]، وَأَنَّ امْتِنَاعَهُ عَنْهَا بِتَرْجِيحِ دَاعِيَةِ الْإِيمَانِ وَطَاعَةِ اللهِ – تَعَالَى – مَعَ طُغْيَانِهَا وَإِلْحَاحِهَا الطَّبِيعِيِّ عَلَيْهِ أَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ مِنْ كَوْنِهِ لَمْ يَفْعَلْهَا كَرَاهَةً لَهَا وَعُزُوفًا عَنْهَا لِقُبْحِهَا ، وَلَهُمْ تَأْوِيلَاتٌ مِنْ هَذَا .

وَلَقَدْ كَانُوا لَوْلَا تَأْثِيرُ الرِّوَايَةِ فِي غِنًى عَنْهَا .

وَالتَّأْوِيلُ الْأَخِيرُ أَوَّلُهُ مَقْبُولٌ وَآخِرُهُ مَرْدُودٌ ، فَهَهُنَا مَرْتَبَتَانِ : إِحْدَاهُمَا الْكَفُّ عَنِ الْمَعْصِيَةِ جِهَادًا لِلنَّفْسِ وَكَبْحًا لَهَا خَوْفًا مِنَ اللهِ – تَعَالَى – وَهِيَ مَرْتَبَةُ الصَّالِحِينَ الْأَبْرَارِ ، وَمَرْتَبَةُ الْكَرَاهَةِ لَهَا وَالِاشْمِئْزَازِ مِنْهَا حَيَاءً مِنَ اللهِ وَمُرَاقَبَةً لَهُ وَاسْتِغْرَاقًا فِي شُهُودِهِ ، وَهِيَ مَرْتَبَةُ الصِّدِّيقِينَ وَالنَّبِيِّينَ الْأَخْيَارِ ، الَّذِينَ إِذَا عَرَضَتْ لَهُمُ الشَّهْوَةُ الْمُسْتَلَذَّةُ بِالطَّبْعِ ، بِالصُّورَةِ الْمُحَرَّمَةِ فِي الشَّرْعِ ، عَارَضَهَا مِنْ وِجْدَانِ الْإِيمَانِ ، وَتَجَلِّي الرَّحْمَنِ ، مَا تَغْلِبُ بِهِ

---

١ – أخرجه أحمد في مسنده ص ٤٣ ج ٧ قال أحمد شاكر إسناده صحيح – الناشر: دار الحديث – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م. والمعجم الأوسط للطبراني ص ٢٦٠ ج٤ – الناشر: دار الحرمين – القاهرة .

رُوحَانِيَّتُهُمُ الْمَلَكِيَّةُ ، عَلَى طَبِيعَتِهِمُ الْحَيَوَانِيَّةِ ، وَهَذَا مِمَّا قَدْ يَحْصُلُ لِمَنْ دُونَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْهُمْ ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَرَوْنَ بُرْهَانَ رَبِّهِمْ بِأَعْيُنِ قُلُوبِهِمْ ، وَيَنْعَكِسُ نُورُهُ عَنْ بَصَائِرِهِمْ فَيَلُوحُ لِأَبْصَارِهِمْ . وَلِهَذِهِ الْمَرْتَبَةِ دَرَجَاتٌ مِنْهَا : فَقْدُ الشَّهْوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فِي هَذِهِ الْحَالِ ، أَوْ فَقْدُ الشُّعُورِ بِالْقُدْرَةِ عَلَى وَضْعِهَا فِي الْمَوْضِعِ الْمُحَرَّمِ مَعَ وُجُودِهَا عَلَى أَشَدِّهَا ، وَلَا عَجَبَ ؛ فَقُوَى النَّفْسِ وَانْفِعَالَاتُهَا الْوِجْدَانِيَّةُ تَتَنَازَعُ فَيَغْلِبُ أَقْوَاهَا أَضْعَفَهَا أَفَيَكْثُرُ أَوْ يُسْتَغْرَبُ فِي رَأْيِ أُولَئِكَ الرُّوَاةِ ، أَنْ يَكُونَ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِي وِرَاثَتِهِ الْفِطْرِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ وَمَقَامِ النُّبُوَّةِ عَنْ آبَائِهِ الْأَكْرَمِينَ ، وَمَا اخْتَصَّهُ بِهِ رَبُّهُ وَكَوْنُهُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ مِنْ تَرْبِيَتِهِ وَعِنَايَتِهِ ، وَمَا شَهِدَ لَهُ بِهِ مِنَ الْعِرْفَانِ وَالْإِحْسَانِ وَالِاصْطِفَاءِ ، وَمَا صَرَفَ عَنْهُ مِنْ دَوَاعِي السُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ ، وَمَا قَصَّ عَلَيْنَا مِنْ شَهَادَةِ تِلْكَ الْمَرْأَةِ لَهُ عَلَى نَفْسِهَا بِقَوْلِهَا : (وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) أَيِ اسْتَمْسَكَ بِعُرْوَةِ الْعِصْمَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا ، ثُمَّ شَهِدَ لَهُ بِهِ صَوَاحِبُهَا مِنَ الْمُرَاوَدَاتِ مِنْ قَوْلِهِنَّ : (حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ) أَيْ أَدْنَى شَيْءٍ سَيِّئٍ ، ثُمَّ مَا أَيَّدَتْ بِهِ شَهَادَتَهُنَّ مِنْ قَوْلِهَا : (الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) أَيَكْثُرُ عَلَيْهِ أَوْ يُسْتَغْرَبُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَمْلَكَ لِنَفْسِهِ مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْإِبَاحِيَّةِ ، أَوْ بِمَنْجَاةٍ مِنَ الْهَمِّ الَّذِي زَعَمُوهُ ، وَصَوَّرُوهُ بِشَرِّ مَا تَصَوَّرُوهُ ، أَوْ بِمَا صَوَّرَهُ لَهُمْ مُضِلُّوهُمْ مِنْ زَنَادِقَةِ الْيَهُودِ لِيُلَبِّسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ، وَيُشَوِّهُوا بِهِ تَفْسِيرَ كَلَامِ رَبِّهِمْ ؟ ثُمَّ يَكُونُ مُنْتَهَى شَوْطِ الْمُنْكِرِينَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَأَوَّلُوا تَفْسِيرَهُمْ تَأْوِيلًا ، وَالْقُرْآنُ يَتَبَرَّأُ مِنْهُ بِلُغَتِهِ وَأُسْلُوبِهِ وَأَدَبِهِ وَهِدَايَتِهِ ، وَالْعِبْرَةُ الْمُرَاوَدَةُ مِنْهُ لِخَاتَمِ رُسُلِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ ، وَلَا يَغُرَّنَّكَ إِسْنَادُ تِلْكَ الرِّوَايَاتِ إِلَى بَعْضِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى

وَضْعِهَا عَلَيْهِمْ ، أَوْ تَصْدِيقِهِمْ لِقَوْلِ بَعْضِ الْيَهُودِ فِيهَا إِلَّا بُطْلَانُ مَوْضُـوعِهَا فِي نَفْسِهِ ، وَكَوْنِهِ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ فِي الْقِصَّةِ الَّتِي لَمْ يَعْلَمْ رَسُـولُ اللهِ مِنْهَـا غَيْرَ مَا قَصَّهُ اللهُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ – كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي آيَةِ آخِرِهَـا – لَوْ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ أَدِلَّةِ وَضْعِهَا غَيْرُ هَذَا لَكَفَى ، فَكَيْفَ وَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِلْقُـرْآنِ فِي لُغَتِهِ كَمُخَالَفَتِهَا لَهُ فِي هِدَايَتِهِ أَيْضًا !

رَدُّ قَوْلِ الْجُمْهُورِ فِي تَفْسِيرِ هَمِّهَا وَهَمِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَأَنَا أَرُدُّ عَلَى جَمِيعِ مَنْ فَسَّرُوا هَمَّ الْمَرْأَةِ بِغَيْرِ مَا اخْتَرْتُهُ ، لَـا هَمُّـهُ وَحْدَهُ ، وَأَقُولُ : لَوْلَا الْغُرُورُ بِالرِّوَايَاتِ الْبَاطِلَةِ لَمْ يَخْطُرْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ غَيْـرُهُ ، أَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِعِبَارَةِ الْقُرْآنِ فِي مَدْلُولِهَا اللُّغَوِيِّ فَهُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ فَأَقُولُ :

أَجْمَعَ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى أَنَّ الْهَمَّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْأَعْمَالِ ، لَـا بِالشُّـخُوصِ وَالْأَعْيَانِ ، وَتَحْقِيقُ مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُقَارَبَةُ فِعْلٍ تَعَارَضَ فِيهِ الْمَانِعُ وَالْمُقْتَضِي فَلَمْ يَقَعْ لِرُجْحَانِ الْمَانِعِ ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِقَوْلِ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ فِي التَّعَارُضِ الْأَعَمِّ ، وَلَكِنَّ رُجْحَانَ الْمَانِعِ هُنَا قَدْ يَكُونُ بِإِرَادَةِ صَاحِبِ الْهَمِّ وَمِنْهُ هَمُّ يُوسُـفَ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِ وَمِنْهُ هَمُّ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : كَانَ هَمُّهُمَا وَاحِدًا وَهُوَ الْـبَطْشُ بِالضَّرْبِ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهُ ، وَكَانَ الْمَانِعُ مِنْهُ إِرَادَتَهُ هُوَ وَعَجْزَهَا هِيَ بِهَرَبِهِ ،

حَكَى اللهُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ أَنَّهُـمْ مَكَـرُوا بِالرَّسُـولِ لِيُثْبِتُوهُ أَوْ يَقْتُلُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ، وَحَكَى عَنْهُمْ وَعَنِ الْمُنَافِقِينَ فِي التَّوْبَةِ أَنَّهُـمْ (هَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) آيَةَ ١٣ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ بَلَدِهِ مَكَّةَ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا لِأَنَّهُمْ خَافُوا أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ غَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ فَيَقْوَى أَمْرُهُ ، فَرَجَّحُوا الْمَانِعَ بِإِرَادَتِهِمْ ، وَحَكَى عَنِ الْمُنَافِقِينَ أَنَّهُمْ (هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَـالُوا) آيَةَ ٧٤ إِذْ حَاوَلُوا أَنْ يُشْرِدُوا بِهِ بِعِيرَهُ فِي الْعَقَبَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ

، فَلَمْ يَنَالُوا مُرَادَهُمْ عَجْزًا مِنْهُمْ وَحِفْظًا مِنْ رَبِّهِ لَهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُهُ – تَعَالَى – لَهُ : (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ) النساء ١١٣ وَلَكِنَّهُ قَدَّمَ هُنَا و"لَوْلَا" فَكَانَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي ذَلِكَ وَمَا قَارَبُوا . وَقَالَ فِي بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ : (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا) آل عمران ١٢٢ أَيْ تَتْرُكَا الْمُضِيَّ مَعَ الرَّسُولِ لِلْقِتَالِ يَوْمَ ((أُحُدٍ)) جُبْنًا وَاتِّبَاعًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ . وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَيْهِمَا دَاعِي الْإِيمَانِ فَلَمْ تَفْشَلَا ، وَهُوَ الْمُعَبَّرُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ – تَعَالَى – : (وَاللهُ وَلِيُّهُمَا) فَرَجَّحَتَا الْمَانِعَ مِنَ الْفَشَلِ بِالْمُقْتَضِي لِلْجِهَادِ .

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هَمَّ أَنْ يَأْمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ ، ثُمَّ يَأْمُرَ مَنْ يُحَرِّقُ عَلَى الْمُتَخَلِّفِينَ عَنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ بُيُوتَهُمْ – وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ :(ثُمَّ آتِي قَوْمًا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ بِهِمْ عِلَّةٌ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ) "[١]" يَعْنِي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا حَتَّى كَادَ يَفْعَلُهُ ، وَلَكِنَّهُ امْتَنَعَ تَرْجِيحًا لِلْمَانِعِ عَلَى الْمُقْتَضِي .

إِذَا عُلِمَ هَذَا ، فَمِنَ الْجَلْيِّ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ تَفْسِيرُ : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) بِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي أَثْبَتْنَاهُ بِشَوَاهِدِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَّا بِمَا قَرَّرْنَاهُ ، وَأَنَّ مَا قَالَهُ

---

١ – أخرجه أبو داود في سننه ك الصلاة باب في التشديد في ترك الجماعة ص ١٥٠ ج ١ قال الألباني صحيح دون قوله ليست بهم علة– الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،٠والترمذى بلفظ " لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَتِي أَنْ يَجْمَعُوا حُزَمَ الحَطَبِ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى أَقْوَامٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ".كتاب الصلاة باب ما جاء فيمن سمع النداء فلا يجيب ص ٤٢٢ج١ قال الألبانى صحيح – الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – الطبعة: الثانية ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥

الْجُمْهُورُ بَاطِلٌ لِمُخَالَفَتِهِ لَهُ ، بَلْ لِلُغَةِ الْقُرْآنِ وَهِدَايَتِهِ ، وَإِنَّمَا خَـدَعَتْهُمْ بِـهِ الرِّوَايَاتُ الْبَاطِلَةُ ، وَبَيَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ :

(أَوَّلُهَا) أَنَّ الْهَمَّ لَا يَكُونُ إِلَّا بِفِعْلٍ لِلْهَامِّ ، وَالْوِقَاعُ لَـيْسَ مِـنْ أَفْعَـالِ الْمَرْأَةِ فَتَهُمَّ بِهِ ، وَإِنَّمَا نَصِيبُهَا مِنْهُ قَبُولُهُ مِمَّنْ يَطْلُبُهُ مِنْهَا بِتَمْكِينِـهِ مِنْـهُ ، وَهَذَا التَّمْكِينُ هُوَ الَّذِي يَثْبُتُ بِهِ دُخُولُ الزَّوْجِيَّةِ الَّذِي تَسْـتَحِقُّ فِيـهِ الْمَـرْأَةُ النَّفَقَةَ مِنْ زَوْجِهَا كَمَا هُوَ مُقَرَّرٌ فِي الْفِقْهِ .

(ثَانِيهَا) أَنَّ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – لَمْ يَطْلُبْ مِن امْرَأَةِ الْعَزِيزِ هَـذَا الْفِعْلَ فَيُسَمَّى قَبُولُهَا لِطَلَبِهِ وَرِضَاهَا بِتَمْكِينِهِ مِنْهُ هَمًّا لَهَا ، فَـإِنَّ نُصُـوصَ الْآيَاتِ قَبْلَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَبَعْدَهَا تُبَرِّئُهُ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مِنْ وَسَائِلِهِ وَمُقَدِّمَاتِهِ أَيْضًا.

(ثَالِثُهَا) لَوْ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ لَكَانَ الْوَاجِبُ فِي التَّعْبِيـرِ عَنْـهُ أَنْ يُقَـالَ : ((وَلَقَدْ هَمَّ بِهَا وَهَمَّتْ بِهِ)) ؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ الْمُقَدَّمُ بِالطَّبْعِ وَالْوَضْعُ وَهُوَ الْهَمُّ الْحَقِيقِيُّ . وَالْهَمُّ الثَّانِي مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهِ لَا يَتَحَقَّقُ بِدُونِهِ .

(رَابِعُهَا) أَنَّهُ قَدْ عُلِمَ مِنَ الْقِصَّةِ أَنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ كَانَتْ عَازِمَةً عَلَى مَـا طَلَبَتْهُ طَلَبًا جَازِمًا مُصِرَّةً عَلَيْهِ ، لَيْسَ عِنْدَهَا أَدْنَى تَرَدُّدٍ فِيهِ وَلَا مَانِعَ مِنْـهُ يُعَارِضُ الْمُقْتَضِي لَهُ ، فَإِذَنْ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ إِنَّهَا هَمَّتْ بِهِ مُطْلَقًا ، حَتَّى لَوْ فُرِضَ جَدَلًا أَنَّهُ كَانَ قَبُولًا لِطَلَبِهِ وَمُوَاتَاةً لَهُ ؛ إِذِ الْهَمُّ مُقَارَبَةُ الْفِعْلِ الْمُتَـرَدَّدِ فِيهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَصِحُّ فِيمَا حَقَّقْنَاهُ مِنْ إِرَادَةِ تَأْدِيبِهِ بِالضَّرْبِ عَلَـى أَهْـوَنِ تَقْدِيرٍ ، فَهَذَا هُوَ الْمُتَبَادِرُ مِنْ نَصِّ اللُّغَةِ وَمِنَ السِّيَاقِ وَأَقْرَبُهُ "[١] "

---

١ – تفسير القرآن الحكيم – محمد رشيد رضا – ص ٢٣١-٢٣٦ ج ١٢ الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م

وأختم القول في رد هذه المرويات بقول الشيخ محمد بن أبى شهبة " ولا أدرى أي معنى يبقى للعصمة بعد أن جلس بين فخذيها، وخلع سرواله؟! وما امتناعه عن الزنا عن مروياتهم المفتراة إلا وهو مقهور مغلوب ؟!

ولو أن عربيدا رأى صورة أبيه بعد مماته تحذره من معصية لكف عنها ، وانزجر ، فأي فضل ليوسف إذًا ، وهو نبي من سلالة أنبياء ؟!!

ثم ما هذا الاضطراب الفاحش في الروايات ؟! أليس الاضطراب الذي لا يمكن التوفيق بينه كهذا من العلل التي رد المحدثون بسببها الكثير من المرويات ؟! لأنه أمارة من أمارات الكذب والاختلاق ، والباطل لجلج ، وأما الحق فهو أبلج.

ثم كيف يتفق ما حيك حول نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام وقول الحق تبارك عقب ذكر الهم : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فهل يستحق هذا الثناء من حل التكة، وخلع السروال ، وجلس بين رجليها ؟! ولا أدرى أنصدق الله تبارك وتعالى ، أم نصدق كذبة بني إسرائيل ومخرفيهم ؟!!وهذه الأقوال التي أسرف في ذكرها هؤلاء المفسرون: إما إسرائيليات وخرافات وضعها زنادقة أهل الكتاب القدماء ، الذي أرادوا بها النيل من الأنبياء والمرسلين ، ثم حملها معهم أهل الكتاب الذين أسلموا وتلقاها عنهم بعض الصحابة ، والتابعين ، بحسن نية ، أو اعتمادا على ظهور كذبها وزيفها. وإما أن تكون مدسوسة على هؤلاء الأئمة ، دسها عليهم أعداء الأديان ، كي تروج تحت هذا الستار ، وبذلك يصلون إلى ما يريدون من إفساد العقائد ، وتعكير صفو الثقافة الإسلامية الأصيلة الصحيحة، وهذا ما أميل إليه"[١]

---

١ – الإسرائيليات والموضوعات – محمد محمد أبوشهبة ص ٢٢٢ مكتبة السنة ط الرابعة.

١٣- ورد عند تفسير قوله تعـالى ﴿ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ يوسف: ٤٢

قال الإمام " اذكرنى عند ربك أى عند سيدك أى أخبره أنى مظلـوم محبوس من غير جرم فقال له سأفعل ذلك فجاء جبريل عليه السلام فقال يا يوسف من خلصك من أيدى إخوتك وقد هموا بقتلك قال الله تعالى قـال من أخرجك من الجب قال الله تعالى قال من عصمك من الفاحشة قـال الله تعالى قال فكيف وثقت بمخلوق ورفعت إليه قصتك وتركت ربك ولم تسأله قال يا رب كلمة زلت منى قال عقوبتها أن تلبث في السجن بضـع سـنين قال فمحى الله من قلب الساقى ذكره وكان يوسف يصعد إلى كوة في السجن فينظر إلى الناس من حيث لا ينظرونه فبينما هو كذلك إذ مرت عليه قافلة من الشام فيها ناقة من كنعان عليها أعرابى يقال له شمر ول وهو اسـم نبات في البادية فلما دنت القافلة من الكوة التى للحـبس رفعـت الناقـة رأسها وقالت بلسان فصيح يا يوسف أبوك نحل من البكاء والإشتيا ق إليك وأنا من أرض كنعان فبكى يوسف من كلامها ولم يعرف كلامهـا سـواه وصاحبها يعدو ورائها بيده عصا يريد أن يضربها فلما دنا منها أخذتـه. الأرض إلى ساقيه فقال له يوسف ويلك الق العصا من يدك فرمى العصا من يده فتركته الأرض ثم دنا من الكوة فقال له يوسف من أين أنـت ؟ قال من أرض كنعان قال له يوسف ياهذا هل تعرف بكنعان شجرة باسقة الأغصان لها اثنى عشر غصنا فقطع منها غصن واحد وكـان أحسـن الأغصان فالشجرة تبكى على فقده فبكى الأعرابى وقال نعم هـذا صـفة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم فبكى يوسـف وقال يا اعرابى لماذا جئت ؟ قال جئت في تجارة قال له يوسف نويـت

أن تربح في تجارتك شيئا قال دينارا قال فرمى له يوسف سوارا كان في يده من ياقوت أحمر وقال خذه فإنه يساوى عشرين ألف دينار على أن تؤدى رسالتى إلى تلك الشجرة ولك الأجر .إذا وصلت إلى كنعان فاصبر إلى الليل واقصد بيت ذلك الشيخ وقل له إن غلاما غريبا محبوسا في السجن بمصر يسلم عليك. قال الأعرابى فما اسمك ؟ قال لا اذكر لك اسمى، ثم إن الأعرابى جعل يسير الليل والنهار حتى وصل إلى كنعان فلما جن عليه الليل خرج وأتى إلى منزل يعقوب وقال يا آل إبراهيم فأجابته أخت يوسف دينا وقالت لبيك ما الذى تريده ياأخا العرب ؟ قال أين الشيخ يعقوب قالت وما الذى تريد به قال أنا مرسل رسولا من غلا م غريب بمصر إليه فأسرعت ونادت يا أبت وكان يعقوب عليه السلام يصلى فسلم وقال ما لك يا بنيتى قالت قد وفد إليك رسو ل يذكر أنه اتاك من عند غلام غريب وأخذت بيده حتى خرج إليه وقال من أنت أيها الرسول فإنى أشم منك رائحة طيبة قال انا رسول غلام غريب في أرض مصر فغشى عليه فلما أفاق قال من أين أتيت قال من مصر من عند غلام غريب من شأنه كيت وكيت قال هل رأيت وجهه ؟ قال لا ولكنه ناجانى من كوة في سجن قال عرفت اسمه قال أبى أن يذكر اسمه فقال آواه وا واحشتاه واحبيباه وا كبداه ثم قال يعقوب عليه السلام للأعرابى ياأخا العرب هل لك حاجة؟ قال ما لى حاجة إلى دنيا فإن ذلك الغريب أغنانى وإنما حاجتى نعيم الآخرة قال يعقوب هون الله عليك سكرات الموت ." [١]

---

١ – الروض الأنيق اللوحة ٩٨– ٩٩– ١٠٠

بيان الدخيل

ما نسب هنا من تقريع جبريل ليوسف لأنه طلب من الناجى أن يذكر للملك سجن يوسف ظلما – وتعداد ذلك ثقة في مخلوق وتوجها لغير الخالق لا يليق بيوسف وأنه يستحق السجن على هذه الكلمات – أقـول هـذا مـن الدخيل الذى ينبغى الوقوف عنده ورده لما ينطوى عليه من نسبة الغفلـة والجهل لنبى معصوم وبيان ذلك كالتالى :

أولا : عمدة هذا القول حديث ابن عباس قال: قال النبي صـلى الله عليه وسلم "لو لم يقل يوسف– يعني الكلمة التي قالها– ما لبث في السـجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله"[١] "

في سند هذا الحديث علتان تذهبان بالإتهام من أصله

١/ إبراهيم بن يزيد الخوزي جاء في إكمال تهذيب الكمـال "قـال محمد بن سعد له أحاديث وهو ضعيف .وفي (سؤالات عبد الله بن علي بن المديني) عن أبيه : ضعيف ، لا أكتب عنه شيئا "٢" وفى الجرح والتعديل " عن يحيى بن معين انه قال إبراهيم بن يزيد الخوزي المكى ليس بثقة وليس بشيء – حدثنا عبد الرحمن سمعت على بن الحسين بن الجنيد يقول سمعت بن نمير يقول إبراهيم الخوزي كان الناس يتقون حديثه سمعت أبـى يقـول إبراهيم بن يزيد الخوزي ضعيف الحديث منكر الحديث قال وسألت أبا زرعة عن إبراهيم الخوزي فقال منكر الحديث سكن مكة وهو ضعيف الحديث "[٣]"

---

١ – أخرجه الطبرانى في المعجم الكبير –ص ٢٤٩ ج١١دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القـاهرة ط الثانية _ والسيوطى في الجامع الصغيرص٨٩ ج٢ .

٢ – إكمال تهذيب الكمال – الحافظ علاء الدين مغلطاي ص ٣٢٢ج ١– الناشر : الفـاروق الحديثـة للطباعة والنشر – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م

٣ – الجرح والتعديل لأبى حاتم الرازى ص١٤٦ ج ٢

٢/ سفيان بن وكيع الجراح قال ابن أبى حاتم "حدثنا عبد الرحمن قال سألت أبا زرعة عنه فقال لا يشتغل به قيل له كان يكذب قال كان أبوه رجلا صالحا قيل له كان يتهم بالكذب قال نعم"١ وفى المجروحين "كان شيخا فاضلا صدوقا إلا أنه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه الحديث وكان يثق به فيجيب فيما يقرأعليه وقيل له بعد ذلك في أشياء منها فلم يرجع فمن أجل إصراره على ما قيل له استحق الترك "٢".

وتأصيلا على هذه الأقوال في الرواة فالحديث ضعيف جدا وما ترتب عليه من لوم يوسف لا يصح ولا يقبل .

ثانيا:- من ناحية التحقيق العلمى للمسألة فأنقل هذا الرد الماتع للشيخ رشيد رضا في رده على اتهام يوسف بنسيان ربه فقال " قَالُوا : إِنَّ ذَنْبَهُ الَّذِي اسْتَحَقَّ عَلَيْهِ هَذَا الْعِقَابَ أَنَّهُ تَوَسَّلَ إِلَى الْمَلِكِ لِإِخْرَاجِهِ وَلَمْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ وَجَاءُوا عَلَيْهِ بِرِوَايَاتٍ لَا يُقْبَلُ فِي مِثْلِهَا إِلَّا الصَّحِيحُ الْمَرْفُوعُ أَوِ الْمُتَوَاتِرُ مِنْهُ ، لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ الطَّعْنَ فِي نَبِيٍّ مُرْسَلٍ وَهُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ مِنْ وُجُوهٍ :

(الْأَوَّلُ) عَطْفُ الْإِنْسَاءِ عَلَى مَا قَالَهُ لِلسَّاقِي بِالْفَاءِ يَدُلُّ عَلَى وُقُوعِهِ عَقِبَهُ ، وَمَفْهُومُهُ أَنَّهُ كَانَ ذَاكِرًا لِلَّهِ – تَعَالَى – قَبْلَهُ إِلَى أَنْ قَالَهُ ، فَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ ذَنْبًا عُوقِبَ عَلَيْهِ لَوَجَبَ أَنْ يُعْطَفَ عَلَيْهِ بِجُمْلَةٍ حَالِيَّةٍ بِأَنْ يُقَالَ : وَقَدْ أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ – أَيْ فِي تِلْكَ الْحَالِ – فَلَمْ يَذْكُرْهُ بِقَلْبِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ ،

١ – الجرح والتعديل لأبى حاتم الرازى ص٢٣١ج ٤

٢ – المجروحين – لمحمد بن حبان البستي ص ٣٥٩ج ١الناشر : دار الوعي – حلب

فَاسْتَحَقَّ عِقَابَهُ – تَعَالَى – بِإِطَالَةِ مُكْثِهِ عَلَى خِلَافِ مَا أَرَادَهُ مِنْ مَلِكِ مِصْـرَ وَحْدَهُ .

(الثَّانِي) أَنَّ اللَّائِقَ بِمَقَامِهِ أَلَّا يَقُولَ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِلَّا مِنْ بَابِ مُرَاعَاةِ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ كَمَا وَقَعَ بِالْفِعْلِ ، فَإِنَّهُ مَا خَـرَجَ مِـنَ السِّجْنِ إِلَّا بِأَمْرِ الْمَلِكِ ، وَمَا أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِخْرَاجِهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَخْبَـرَهُ السَّـاقِي خَبَرَهُ ، وَمَا آتَاهُ رَبُّهُ مِنَ الْعِلْمِ بِتَأْوِيلِ الرُّؤَى وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا وَصَّاهُ بِهِ يُوسُفُ ، فَإِذَا كَانَ قَدْ وَصَّاهُ بِذَلِكَ مُلَاحِظًا أَنَّهُ مِنْ سُنَنِ اللهِ فِي عِبَادِهِ مُتَذَكِّرًا ذَلِـكَ – وَهُوَ اللَّائِقُ بِهِ – فَلَا يُعْقَلُ أَنْ يُعَاقِبَهُ رَبُّهُ – تَعَالَى – عَلَيْهِ ، وَعَطْفُ الْإِنْسَاءِ بِالْفَاءِ يَدُلُّ عَلَى وُقُوعِهِ بَعْدَ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ ، فَلَا تَكُونُ هِيَ ذَنْبًا وَلَـا مُقْتَرِنَـةً بِذَنْبٍ فَيَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْعِقَابَ .

(الثَّالِثُ) إِذَا قِيلَ : سَلَّمْنَا أَنَّهُ كَانَ ذَاكِرًا لِرَبِّهِ عِنْدَمَا أَوْصَى السَّاقِي مَا أَوْصَاهُ بِهِ ، وَلَكِنَّهُ نَسِيَهُ عَقِبَ الْوَصِيَّةِ وَاتَّكَلَ عَلَيْهَا وَحْـدَهَا . (قُلْنَـا) : إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَسِيَ ذَلِكَ فِي الْحَالِ وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ النِّسْيَانُ مُدَّةَ ذَلِكَ الْعِقَابِ وَهُـوَ بِضْعُ سِنِينَ أَوْ تَتِمَّتُهَا ، كُنْتُمْ قَدِ اتَّهَمْتُمْ هَذَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ تُهْمَةً فَظِيعَةً لَا تَلِيقُ بِأَضْعَفِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا ، وَلَا يَدُلُّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ ، بَلْ يُبْطِلُهَا وَصْفُ اللهِ لَهُ بِأَنَّهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَمِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلَصِينَ الْمُصْطَفَيْنَ ، وَبِأَنَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْـرِهِ ، وَأَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ، وَكَيْدَ النِّسَاءِ .وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّ الشَّـيْطَانَ أَنْسَاهُ ذِكْرَ رَبِّهِ بُرْهَةً قَلِيلَةً عَقِبَ تِلْكَ الْوَصِيَّةِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ مُرَاقَبَتِهِ لَهُ – عَزَّ وَجَلَّ – وَذِكْرِهِ فَهَذَا النِّسْيَانُ الْقَلِيلُ ، لَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْعِقَابَ الطَّوِيلَ ، وَلَمْ يُعْصَمْ مِنْ مِثْلِهِ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا يُعْلَـمُ مِـنَ الْـوَجْهَيْنِ : الرَّابِعِ، وَالْخَامِسِ .

(الرَّابِعُ) جَاءَ فِي نُصُوصِ التَّنْزِيلِ فِي خِطَابِ الشَّيْطَانِ : (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) وَقَالَ – تَعَالَى – : (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) فَالتَّذَكُّرُ بَعْدَ النِّسْيَانِ الْقَلِيلِ مِنْ شَأْنِ أَهْلِ التَّقْوَى .

(الْخَامِسُ) أَنَّ النِّسْيَانَ لَيْسَ ذَنْبًا يُعَاقِبُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ، وَقَدْ قَالَ – تَعَالَى – لِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ : (وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يَعْنِي الَّذِينَ أَمَرَهُ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ إِذَا رَآهُمْ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِ اللهِ .

(السَّادِسُ) أَنَّهُمْ مَا قَالُوا هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُمْ رَوَوْا فِيهَا حَدِيثًا مَرْفُوعًا عَلَى قِلَّةِ جُرْأَةِ الرُّوَاةِ عَلَى الْأَحَادِيثِ الْمَرْفُوعَةِ الْمُسْنَدَةِ فِي التَّفْسِيرِ ، وَهُوَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ عَنْ سُفْيَانَ بْنِ وَكِيعٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((لَوْ لَمْ يَقُلْ يُوسُفُ الْكَلِمَةَ الَّتِي قَالَ مَا لَبِثَ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ حَيْثُ يَبْتَغِي الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ)) وَنَقُولُ : إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ بَاطِلٌ ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ : وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَعِيفٌ جِدًّا . سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ هُوَ الْجَوْزِيُّ أَضْعَفُ مِنْهُ أَيْضًا . وَقَدْ رُوِيَ مِنَ الْحَسَنِ وَقَتَادَةَ مُرْسَلًا عَنْ كُلٍّ مِنْهُمَا . وَهَذِهِ الْمُرْسَلَاتُ هَهُنَا لَا تُقْبَلُ لَوْ قُبِلَ الْمُرْسَلُ مِنْ حَيْثُ هُوَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْطِنِ وَاللهُ أَعْلَمُ ا هـ .

وَأَقُولُ : إِنَّهُ يَعْنِي بِقَوْلِهِ (هَهُنَا) الطَّعْنَ فِي نَبِيٍّ مُرْسَلٍ بِأَنَّهُ كَانَ يَبْتَغِي الْفَرَجَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ ، وَهُوَ الْجَدِيرُ بِأَلَّا تَحْجُبَهُ الْأَسْبَابُ الظَّاهِرَةُ عَنْ وَاضِعِهَا وَمُسَخِّرِهَا وَخَالِقِهَا – عَزَّ وَجَلَّ – . وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ (لَوْ قُبِلَ الْمُرْسَلُ

مِنْ حَيْثُ هُوَ) مَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْأُصُولِ وَهُـوَ عَـدَمُ الِاحْتِجَـاجِ بِالْمَرَاسِيلِ وَمَا رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ وَكَعْبِ الْأَحْبَـارِ مِـنْ خِطَابِ اللهِ تَعَالَى وَخِطَابِ جِبْرِيلَ لِيُوسُفَ وَتَوْبِيخِهِ عَلَى الِاسْتِشْفَاعِ بِآدَمِيٍّ مِثْلِهِ ، فَهِيَ مِنْ مَوْضُوعَاتِ الـرَّاوِي وَالْمَـرْوِيِّ عَنْهُمَـا جَـزَاهُمُ اللهُ مَـا يَسْتَحِقُّونَ، فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ التَّفْسِيرَ الْمَأْثُورَ فِي الْآيَةِ بَاطِـلٌ رِوَايَـةً وَدِرَايَـةً وَعَقِيدَةً وَلُغَةً وَأَدَبًا "[1]

ثالثا:- ما ذكره النقل من رسالة يوسف إلى أبيه عبر الأعرابـى لـم أعثر عليها في أى مرجع من مراجع العلم فهى جديرة بأن لا تقحم في بيان وتفسير الآيات القرآنية التى لا مجال للعلم بتفاصيلها إلا من طريـق النقـل الصحيح وخاصة قصص الأولين فكيف بالأنبياء والمرسلين- أضف إلى ذلك أنها لا محل لها من زيادة ولا نقصان في بيان شـئ أو حجبـه بخصـوص أحداث القصة التى وصفها الله بأحسن القصص فلا قول يقال بعـد هـذا البيان الكريم من الله العليم .

١٤ - ورد عند تفسير قوله تعـالى ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ يوسف: ٦٧

قال الإمام " كان يوسف قد بنى بيتا مدهونا طويلا طوله أربعـون ذراعا صور فيه بالذهب صورة يعقوب ويوسف وإخوته جميعا وصور فيه صورة يوسف وهو صغير وصورة يهوذا أو صورة شمعون وفى يده سكين

---

١ - تفسير المنار ص٢٦٠ ج ١٢

وهو قابض على يوسف يريد أن يذبحه وصورة يوسف و قد دخل تحت ذيل روبيل وجميع ما فعلوا به صوره في ذلك البيت قال فدخلوا وجلسوا فرفع روبيل رأسه ونظر إلى الصور فقال أواه وبكى فقالوا له ما يبكيك يا روبيل فقال لهم انظروا إلى هذه الصور التى في هذا البيت كأنها صورة يوسف وهو صغير وكل ما فعلناه فعندها تغيرت ألوانهم واضطربت فرائصهم وتلجلجت ألسنتهم وحزنت قلوبهم فأمر يوسف بإحضار الطعام له فقدمت لهم الموائد فامتنعوا من الأكل فقال يوسف لترجمانه قل لهم لم لا تأكلوا ؟! فقالوا لما دخلنا إلى هذا البيت كنا جياعا فلما رأينا هذه الصور شغلتنا عما نحن فيه وتذكرنا أمورا كنا نسيناها وذنوبا فعلناها في حال صبانا فقال يوسف اذهبوا بهم إلى بيت الملوك قال فأخرجوهم إلى بيت غير ذلك البيت وفيه من أنواع الزينة وأنواع الطعام الفاخر وأنساهم الله تعالى ما كانوا فيه عناية بهم حتى أكلوا وشبعوا إلا بنيامين لم يأكل شيئا فقال له يوسف لم لا تأكل ؟! فقال ما أشتهى إلا أن أذهب إلى ذلك البيت الذى كنا فيه قال لم ! قال لأنى وجدت صورة أخى يوسف وما فعله به إخوته في حال صغره فأشتهى أن أنظر إلى صورة أخى يوسف وبكى حتى أشفى ثم أذن له يوسف وبعث معه غلاما إلى ذلك البيت فجلس عند صورة يوسف يبكى فرق له يوسف وبكى ثم قال لولده يا بنى اذهب إلى أخى واجلس عنده وحدثه بالعبرانية وإن سألك عن شئ أجبه واعلمه أنك ابن أخيه وأنا أخوه يوسف فإن الله تبارك وتعالى قد أذن لى في ذلك فقد آن أوان القصة المكتتمة فما بقى استتار فلما دخل ابن يوسف إفراييم على عمه وسلم عليه وجلس عنده تعجب بنيامين وجعل تارة ينظر إلى صورة يوسف وتارة ينظر إلى

صورة ابن يوسف كأنه صورة واحدة فلم يفرق بينهما فقال بنيـــامين إن هذا لعجيب يا فتى أنت تشبه هذه الصورة فقال إن هذه صورة أبى فقال من هو أبوك ؟ قال يوسف الصديق هو أبى قال وهنا أحد اسمه يوســف الصديق ! قال نعم نبى الله يوسف بن نبى الله يعقوب فصــرخ بنيــامين وبكى وقال كان لى أخ اسمه يوسف بن يعقوب جرى له كيت وكيت في حال صغره قال إفراييم فهو أبى قال وأين هو ؟ قال ها هو حاضــر قــال فنهض بنيامين وقام قائما فضمه إلى صدره وقــال واشــوقاه وا طــول حزناه لفراقك يا قرة عينى وثمرة فؤادى متى أراه متى أنظر إليه وأرى وجهه وجماله . يا ابن أخى أين والدك ؟ قال يا عمــاه هــو الــذى كــان يخاطبك قال دلنى عليه فلا صبر لى عنه قال يا عم مهلا حتى أعلمه ثــم ذهب إفراييم إلى أبيه فأخبره بما جرى فقال يوسف ادعه إلــىّ فأتــاه إفراييم وقال يا عم أجب والدى قال فقام معه فلما دخل على يوسف قام يوسف وعانقه وضمه إلى صدره فغشى عليه فلما أفاق قال لــه يوســف ياقرة عينى ياأخى لا تبتئس بما كانوا يعملون أى لا تحزن فأنا أخــوك يوسف فلما سمع كلامه صرخ وخر مغشيا عليه. فلما أفــاق قــال لــه يوسف يا أخى أخبرنى عن والدى ما حاله فبكى بنيامين وقال يا أخــى ما أقدر أن أصف لك حاله وما هو فيه ذهبت عيناه من البكاء عليــك لا يشتهى إلا رؤيتك . فبكى يوسف وقال ليت أمى لم تلدنى ثم ســأل عــن أخته دينا فقال في أشد ما يكون من الحزن عليك على جسدها ثوب من شعر والبكاء لا يفارقها منذ أربعين سنة وهى تقف كل يوم على مفــرق الطريق كلما رأت غريبا سألته عنك وهى في كل وقــت تتفقــد أخبــارك فقال يوسف

يا أخى هل تزوجت ؟ قال نعم . هل لك أولاد ؟ قال نعم .قال وما أسماؤهم ؟ قال أحدهم اسمه يوسف والآخر دم والأخر ذئب . قال ولم سميتهم بهذه الأسماء ؟ قال لأنى كلما نظرت إلى ولدى يوسف تذكرت أخى يوسف وكلما نظرت إلى ولدى دم تذكرت الدم الذى جاؤوا به على القميص وكلما رأيت ولدى ذئب تذكرت الذئب الذى قالوا إنه أكل أخى . فقال له يوسف يا أخى طب نفسا وقر عينا وقم إلى إخوتك . قال يا أخى ولم تبعدنى عنك ؟ فقال يوسف إن أردت أن تقيم عندى فضع عليك اسم اللصوص قال اصنع بى ما تريد قال فدخل بنيامين على إخوته فلم يعرفوه من السرور الذى لاح على وجهه وتغيرت حالته عما كان فقالوا له من أنت ؟ قال أخوكم بنيامين قالوا له من حسن وجهك ؟ قال أتعرفون سوى الله تعالى ؟!! "[١]"

بيان الدخيل

هذا النقل لا وجود له في مراجع العلم التى اطلعت عليها إلا في عرائس المجالس للثعلبى من رواية الكلبى

محمد بن السائب المفسر "[٢]" وقد قال علماء الحديث عن الكلبى " كان بالكوفة كذابان أحدهما الكلبي ، حدثنا الأصمعي نا قرة بن خالد قال كانوا يرون ان الكلبي يزرف يعنى يكذب ، عن يحيى بن معين انه قال الكلبي ليس بشيء "٣ ". ثم إن مخايل الحبكة القصصية تلوح للقارئ . وبالنقل

---

١ – لوحة ١٢٦ إلى ١٣٦

٢ – عرائس المجالس ص ١٩٨.

٣ – الجرح والتعديل لأبى حاتم ص ٢٧٠ ج ٧– الضعفاء الكبير ص ٤٦٩ ج ٧ – المجروحين لابن حبان ص ٢٥٣ ج ٢.

ذكر لأحداث من قبيل العبث الذى لا يفيد وقد اعتبر العلماء ذلك من قبيل الوضع والضعف قال ابن القيم رحمه الله وهو يعدد أمارات الوضع والضعف " كل حديث يشتمل على فساد أو ظلم أو عبث فرسول الله منه برئ " ويذكر أيضا علامة أخرى فيقول " ومنها أن يكون كلامه لايشبه كلام الأنبياء فضلا عن كلام رسول الله الذى هو وحى يوحى فيكون الحديث مما لا يشبه الوحى بل لا يشبه كلام الصحابة "[1]" وعليه فالنقل المذكور مما لا يحسن اعتباره في فهم الآية الكريمة ولا في الربط بين الأحداث المتشابكه للقصة المباركة .

١٥ - ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ يوسف: ٨٧

قال الإمام " أمر يعقوب ولده شمعون أن يكتب كتابا إلى عزيز مصر وهو يقول لو عرفت اسمه لذكرته يا من أعزه الله يعز من يشاء ويذل من يشاء إنى رجل قد اشمأز قلبى والحزن قد قطع أوصالى وأنا نـــاء عن الأفراح دائم البكاء والنواح وأنا من نطفة الأباء الكرام لا يتولد منى اللصوص ونحن من الخصوص وقد أخبرت أنك كريم وبنا رحيم اسألك أن ترد علىّ ولدى قبل أن يجرى على لسانى ما في خلدى فإن دعوة المظلوم مستجابة .فلما وصل إليه الكتاب أخذه ووضعه على عينيه ثم فتحه وقرأه فلما قرأ يوسف الكتاب نزل من على سريره وجلس مع إخوته على بساط واحد وقال يا أولاد يعقوب كل وقت يخاطبكم الترجمان وأنا اليوم أخاطبكم بلا ترجمان ثم رمى إليهم الكتاب

---

١ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف - ابن القيم ص ٢٣- ٢٤.

الذى كتبوه حين باعوه وهو صغير وكان لما ملك مصر بعث إلى مالك بن ذعر وأخذ منه الكتاب الذى كان إخوته كتبوه حين باعوه ورمى به إليهم فلما رأوا الكتاب تغير ت ألوانهم ثم أنكروا وقالوا ما هذا خطنا .ثم أخذ يوسف الصاع بيده ومعه ميل من ذهب أحمر وضرب على الصاع ثم قال إن صاعى هذا يخبرنى بما مضى في الزمان القديم الأول أتريدون أن أسأله قالوا نعم فنقر الصاع بميله ثم أصغى إليه وقال يا أولاد يعقوب إن الصاع يقول إنكم فرقتم بين يوسف ووالده يعقوب وجفوتم عليه قالوا صدق الصاع . ثم نقر الصاع وطن طنينا فأصغى إليه يسمعه كأنه يحدثه فلما سكن الصاع من طنينه قال إنه يقول إنكم أخذتم أخيكم ورميتموه إلى الكلاب وأخذتم الماء الذى كان في كوزه فشربتموه ولطمتموه على وجهه فهل كان ذلك ؟ قالوا نعم صدق الصاع . قال ثم نقره أيضا فقال إنه يقول إنكم أردتم قتله قالوا نعم حتى خلصه منكم كبيركم قالوا نعم قال من هو كبيركم ؟ فأشاروا إلى يهوذا فقال له يوسف جزاك الله خيرا حيث خلصته منهم . ثم نقر الصاع وقال إنه يقول إنكم ألقيتموه في الجب ثم أخرجتموه وبعتموه بأقل الثمن فهل فعلتم ذلك ؟قالوا نعم قال بئس ما فعلتم .ثم قال لغلمانه خذوا بأيديهم واضربوا أعناقهم .فأخذهم الغلمان ثم شدوا أيديهم فلما ذهبوا بهم التفتوا إلى يوسف قال ردوهم فقال لهم لم التفتم ؟ فبكوا وقالوا إن أبانا على فقد ولد واحد بكى حتى ذهب بصره فكيف إذا فقد جميع أولاده ؟!! فعند ذلك ضحك يوسف فنظروا إلى أسنانه فعرفوه وكان في يوسف ثلاث علامات شجة في رأسه أصابته في دار جده إبراهيم عليه السلام وكان له خال على خده الأيمن يلوح كأنه كوكب وكان له

تجعيدة فوق سرته وكان يعقوب يقبلها ويشم منها رائحة المسك فنحى يوسف التاج عن رأسه فبانت الشجة فقال بعضهم لبعض ما أشبه هذا الملك بأخينا يوسف . فكشف الخال الذى على خده فقال بعضهم لبعض ما أشبه هذا الخال الذى على خد الملك هو أشبه الناس بأخينا يوسف فعند ذلك قالوا "أءنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخى بنيامين فنكثوا رؤوسهم وبكوا وقالوا لا تنظر إلى ما فعلنا ولكن انظر إلى ما فعل الله بك والله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين "[١]".

بيان الدخيل

الخطاب المنسوب الى النبى يعقوب الذى بعث به إلى عزيز مصر وما كان من أمر الصاع وكلام يوسف معه ذكره بألفاظ متقاربه ابن أبى حاتم في تفسيره والثعلبى في تفسيره والبغوى والسمعانى وابن عجيبة وابن الجوزى في زاد المسير والثعلبى في العرائس"[٢]" وفى إسناده :

١/ أبو زهير "الحارث الأعور وهو بن عبد الله ويقال بن عبيد أبو زهير الهمداني الخارفي الكوفي روى عن علي وعبد الله بن مسعود روى عنه عبد الله بن مرة وأبو إسحاق والضحاك بن مزاحم واتهمه الشعبي بالكذب ولم يسمعه إبراهيم النخعي سمعت أبي يقول ذلك حدثنا عبد الرحمن نا أبو سعيد الأشج نا أبو أسامة حدثني مفضل بن مهلهل قال حدثني مغيرة قال سمعت الشعبي يقول حدثني الحارث وانا اشهد انه أحد الكذابين"[٣]".

---

١ – الزهر الأنيق لوحة ١٤٠ إلى ١٤٣.

٢ – تفسير ابن أبى حاتم ٢١٨٥ ج٧ – الكشف والبيان للثعلبى ٢٥٢ ج٥ – تفسير السمعانى ٦٠ ج٣– تفسير البغوى ٥١٠ ج٢ – تفسير ابن عجيبة ٤١٧ ج٣– زاد المسير لابن الجوزى ٢٦٤ج ٤– عرائس المجالس ص ١٨٣ .

٣ – الجرح والتعديل ص ٧٨ ج ٣– والضعفاء الكبير للعقيلى ص١٠١ ج ٢ – والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدى ص١٨٥ ج٢.

وقد رواه أيضا أبو زهير عن مجهول وهذا نص السند عند ابن أبى حاتم"حدثنا محمد بن العباس ، ثنا عبد الرحمن بن سلمة ثنا أبو زهير ثنا بعض اصحابنا عن أبي روق" والجهالة في الرواية على ثلاثة أضرب كما ذكر أصحاب الحديث " فِي رِوَايَةِ الْمَجْهُولِ ، وَهُوَ فِي غَرَضِنَا هَاهُنَا أَقْسَامٌ :(أَحَدُهَا) : الْمَجْهُولُ الْعَدَالَةِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ جَمِيعًا ، وَرِوَايَتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ عَلَى مَا نَبَّهْنَا عَلَيْهِ أَوَّلًا .

(الثَّانِي) : الْمَجْهُولُ الَّذِي جُهِلَتْ عَدَالَتُهُ الْبَاطِنَةُ ، وَهُوَ عَدْلٌ فِي الظَّاهِرِ ، وَهُوَ الْمَسْتُورُ ، فَقَدْ قَالَ بَعْضُ أَئِمَّتِنَا : " الْمَسْتُورُ مَنْ يَكُونُ عَدْلًا فِي الظَّاهِرِ ، وَلَا تُعْرَفَ عَدَالَةُ بَاطِنِهِ " . فَهَذَا الْمَجْهُولُ يَحْتَجُّ بِرِوَايَتِهِ بَعْضُ مَنْ رَدَّ رِوَايَةَ الْأَوَّلِ ، وَهُوَ قَوْلُ بَعْضِ الشَّافِعِيِّينَ وَبِهِ قَطَعَ مِنْهُمُ الْإِمَامُ سُلَيْمُ بْنُ أَيُّوبَ الرَّازِيُّ ، قَالَ : " لِأَنَّ أَمْرَ الْأَخْبَارِ مَبْنِيٌّ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِالرَّاوِي ؛ وَلِأَنَّ رِوَايَةَ الْأَخْبَارِ تَكُونُ عِنْدَ مَنْ يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ الْعَدَالَةِ فِي الْبَاطِنِ ، فَاقْتُصِرَ فِيهَا عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ فِي الظَّاهِرِ ، وَتُفَارِقُ الشَّهَادَةَ فَإِنَّهَا تَكُونُ عِنْدَ الْحُكَّامِ ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ ، فَاعْتُبِرَ فِيهَا الْعَدَالَةُ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ " .

قُلْتُ : وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْعَمَلُ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ الْمَشْهُورَةِ فِي غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الرُّوَاةِ الَّذِينَ تَقَادَمَ الْعَهْدُ بِهِمْ وَتَعَذَّرَتِ الْخِبْرَةُ الْبَاطِنَةُ بِهِمْ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(الثَّالِثُ) : الْمَجْهُولُ الْعَيْنِ ، وَقَدْ يَقْبَلُ رِوَايَةَ الْمَجْهُولِ الْعَدَالَةِ مَنْ لَا يَقْبَلُ رِوَايَةَ الْمَجْهُولِ الْعَيْنِ ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ عَدْلَانِ وَعَيَّنَاهُ فَقَدِ ارْتَفَعَتْ عَنْهُ

هَذِهِ الْجَهَالَةُ . ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي أَجْوِبَةِ مَسَائِلَ سُئِلَ عَنْهَا أَنَّ الْمَجْهُولَ عِنْدَ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ هُوَ كُلُّ مَنْ لَمْ تَعْرِفْهُ الْعُلَمَاءُ "١" .

فالنقل من ناحية الإسناد غير صحيح لجهالة من روى عن أبـــى روق .وهو حرى أن يترك ولا يعول عليه في تفسير الآية

٢/ من أمارات الرد للنقل المذكور ما به من سجع القصاص والذى لا يتناسب مع كلام الأنبياء وهو قول " وأنا نـــــــاء عن الأفراح دائـــم البكاء والنواح وأنا من نطفة الأباء الكرام لا يتولد منى اللصوص ونحن من الخصوص".

٣/ قصة الصاع ونقر يوسف له ذكرها الطبرى في تفسيره بألفـــاظ متقاربة مع السياق المذكور هنا وابن كثير في تفسيره .

و قد عقب على هذا الأثر وسنده العلامة أحمد شاكر في تحقيقـــه لتفسير الطبرى فقال " صدقة بن عبادة بن نشيط الأسدي" روى عن أبيـــه عن ابن عباس روى عنه أبو داود الطيالسي ، وموسى بـــن إســـماعيل ، وغيرهما ،

مترجم في الكبير ٢ / ٢ / ٢٩٨ ، وابن أبي حـــاتم ٢ / ١ / ٤٣٣ . /٨ وأبوه" عبادة بن نشيط الأسدي" ، روى عن ابن عباس ، روى عنه ابنه صدقة ، مترجم في ابن أبي حاتم ٣ / ١ / ٩٦ . ولم يذكروا فيه ولا في ابنه جرحًا . ومع ذلك فالخبر عندي غير مستقيم . وكفاه اختلالا أنـــه مخـــالف

١- علوم الحديث لابن الصلاح : أبو عمرو عثمـــان الشَّـــهْرُزُوْرِيُّ ص ١١٢ – دار الفكـــر المعاصر سنة النشر: ١٤٢٥هـــ / ٢٠٠٤م – وشرح التبصرة والتذكرة : الحافظ العراقي ص ١١٤.

لصريح القرآن ، ولو وافقه لكان أولى به أن يكون قال لهم ذلك ، لما دخلوا عليه فقال لهم :" هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون"[١]"

وعقب الإمام الألوسى على قصة الصواع بقوله "وفي الباب أخبار أخر وكلها مضطربة فليقصر على ما حكاه الله تعالى مما قالوا ليوسف عليه السلام وقال :"ألا ترون أني أوف الكيل" "[٢]". وهذا ما ينبغى أن نصير إليه في فهم القصة التى جعل الله تفاصيلها وأحداثها من الغيب الذى أوحاه الله إلى نبيه " ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ يوسف: ١٠٢

١٦- ورد عند تفسير قوله تعالى ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ يوسف: ٩٣

قال الإمام "إنما حمل القميص العبد الذى باعه يعقوب وذلك أن راحيل زوجة يعقوب أم يوسف اشترى لها يعقوب جارية لرضاع ولدها بنيامين . وكان لها ولد صغير رضيع فباع ولدها وفرق بينه وبين أمه ليكون لبنها لبنيامين . فبكت الجارية على ولدها وقالت يارب كما فرق بينى وبين ولدى فرق بينه وبين من يحب . فهتف بها هاتف وقال لا تدعى ،اصبرى فإن الله تعالى قد استجاب دعائك وهو يفرق بينه وبين من يحبه فلا يجتمع بولده حتى تجتمعى بولدك . وكان ذلك العبد اسمه بشير وكان يوسف قد اشتراه من تاجر ولم يعلم أنه ذلك العبد . وكان يبعثه إلى البلاد

---

١ – تفسير الطبرى تحقيق أحمد شاكر ص ٥٧٧ ج – ١٧ – ط مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م– تفسير ابن كثير ص٢٠ ج٨ .

٢ – روح المعانى ص ١٣ ج٩ .

وكان يحمل كتابه فدفع إليه يوسف القميص ليصير العبد إلى أمه قبل أن يجتمع يعقوب بولده . فلما خرج البشير من أرض مصر استاذنت الريح ربها توصل ريح يوسف إلى يعقوب قبل أن يصير إليه البشير بعشرة أيام ،فأذن الله تبارك وتعالى لها فبينما يعقوب جالس بين أولاده بأرض كنعان قال كأن حزنى قد بعد عنى والفرج قد قرب .يا أولادى كان الذئب الذى أكل يوسف عبر هذه الأرض وأنا أشم رائحته واستنشق الريح وضحك .فلما وصل البشير أرض كنعان وجد أمه تغسل ثوب يعقوب عند البئر فسألها عن منزل يعقوب فرفعت رأسها وقالت ما تصنع به ؟ وما تريد من يعقوب ؟ فإنه لا يلتفت إلى أحد ولا يصغى إلى كلام أحد ولا يقضى حاجة أحد ،وهو حزين كئيب ليلاً ونهارا . قال لها لقد تولت القصة فأين مسكنه فإنى رسول يوسف إليه .فصاحت صيحة عظيمة وخرت مغشية عليها فلما أفاقت رفعت رأسها إلى السماء ،وقالت هكذا وعدتنى يا مولاى . قال لها البشير ما شأنك أيتها المرأة ؟ فقصت عليه القصة . فقال لها ما اسم ولدك ؟ قالت بشير . قال لها قومى قد تم الوعد وهو لا يخلف الميعاد، أنا ولدك البشير فقامت وضمته إلى صدرها وذهبت به إلى منزل يعقوب فلما دخلت على يعقوب وأرادت أن تكلمه خرت مغشيا عليها فرمى البشير القميص على وجه يعقوب فشم رائحته وفتح عينيه فرد الله بصره للوقت فتبسم ضاحكا والتفت إلى أولاده ، قال ألم اقل لكم إنى أعلم من الله ما لاتعلمون .ثم نظر إلى وجه البشير ساعة وقال من أنت ؟ قال أنا الذى فرقت بينى وبين والدتى أنا البشير . فبكى يعقوب وقال يا حسرتاه على ما فعلت يا بشير ،ما علمت يا بشير أن وجع الفراق هكذا . ما أمرّ الفراق وما أصعبه . ثم التفت يعقوب إلى بشير وقال ألك حاجة يا

بشير ؟ قال لاحاجة لى إلى الدنيا . قال يعقوب هوّن الله عليك سكرات الموت كما هونت علىّ الهموم والأحزان ."[١]"

بيان الدخيل

تدور أحداث هذا النقل حول السبب الذى لأجله باعد الله بين يعقوب النبى وولده يوسف عليه السلام . تصف القصة قسوة قلب يعقوب الذى فرق بين والدة وولدها الرضيع لتصبح خالية لولده الرضيع بنيامين . وكأن يعقوب واحدا من غلاظ الخلق لا يعرف قلبه للرحمة سبيلا وهو سرد خالف الحق وناقض الصواب ولم يقم للأنبياء وزنا في مقام الأخلاق الذي حازوا فيه الكمال والتمام وبيان ذلك كما يلى :

١/ القصة من مرويات وهبه بن منبه أحد أقطاب الرواية الإسرائيلية"٢" فيعرف بذلك مصدرها و قد قال الذهبى في التفسير والمفسرون " لا أنكر أن صاحبنا أكثرَ من الإسرائيليات، وقصَّ كثيراً من القصص إلا أنى لا أتهمه بشئ من الكذب، ولا أنسب إليه إفساد العقول والعقائد، ولا أُحَمله تبعة ذلك، لأن القوم هم الذين أفسدوا بإدخالهم فى التفسير ما لا صلة له به، وبالوضع عليه وعلى غيره ترويجاً للموضوع"[٣]".

فالخلل في إقحام مروياته في التفسير .

---

١ – الزهر الأنيق لوحة ١٤٥– ١٤٦

٢ – عرائس المجالس للثعلبى ص ١٩٤ – هميان الزاد للإباضى ٢٥١ – ٢٥٤ ج ٢٨

٣ – التفسير والمفسرون د/ محمد حسين الذهبى ص ١٤٢ ج ١.

٢/ يتنافى ما ذكر من تفريق يعقوب بين الوالـدة وولـدها مـع وصف الله له بالإمامة في الدين إذ قال تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ الأنبياء: ٧٢ - ٧٣

قال الفخر الرازى في تفسير الصلاح الموسوم به إسحاق ويعقوب " قَوْلُهُ تَعَالَى: وَكُلًّا جَعَلْنا صالحِينَ أَيْ وَكُلًّا مِنْ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـحَاقَ وَيَعْقُـوبَ أَنْبِيَاءَ مُرْسَلِينَ، هَذَا قَوْلُ الضَّحَّاكِ وَقَالَ آخَرُونَ عَامِلِينَ بِطَاعَةِ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مُجْتَنِبِينَ مَحَارِمَهُ.

وَالْوَجْهُ الثَّانِي: أَقْرَبُ لِأَنَّ لَفْظَ الصَّلَاحِ يَتَنَاوَلُ الْكُلَّ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَـالَ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ: وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ

فَلَوْ حَمَلْنَا الصَّلَاحَ عَلَى النُّبُوَّةِ لَزِمَ التَّكْرَارُ . قَوْلُهُ تَعَالَى:" وَجَعَلْنَـاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا"

فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَيْ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَى دِيـنِ اللَّـه تَعَالَى وَالْخَيْرَاتِ بِأَمْرِنَا وَإِذْنِنَا. وَاعْلَمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَهُمْ أَوَّلًا بِالصَّلَاحِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَرَاتِبِ السَّائِرِينَ إِلَى اللَّه تَعَالَى ثُمَّ تَرَقَّى فَوَصَفَهُمْ بِالْإِمَامَةِ. ثُـمَّ تَرَقَّـى فَوَصَفَهُمْ بِالنُّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ. وَإِذَا كَانَ الصَّلَاحُ الَّذِي هُوَ الْعِصْـمَةُ أَوَّلَ مَرَاتِـبَ النُّبُوَّةِ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ فَإِنَّ الْمَحْرُومَ عَـنْ أَوَّلِ الْمَرَاتِـبِ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ مَحْرُومًا عَنِ النِّهَايَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَمَا بَيَّنَ أَصْنَافَ نِعَمِـهِ عَلَيْهِمْ بَيَّنَ بَعْدَ ذَلِكَ اشْتِغَالَهُمْ بِعُبُودِيَّتِهِ فَقَالَ: "وَكانُوا لَنـا عابـدِينَ " كَأَنَّـهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا وَفَى بِعَهْدِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي الْإِحْسَانِ وَالْإِنْعَامِ فَهُمْ أَيْضًا وَفَوْا بِعَهْدِ الْعُبُودِيَّةِ وهو الاشتغال بالطاعة والعبادة"[1].

---

١ - تفسير الرازى ص ١٦٠- ١٦١ ج ٢٢

وعلى ذلك النقل يتبين أن وصف الصلاح ليعقوب يتنافى تماما مع القصة المذكورة في التفريق .

٣/ ورد في السنة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ وَالِدَةٍ وَوَلَدِهَا، فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحِبَّتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"١"

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ "الكَرِيمُ، ابْنُ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ، ابْنِ الكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ"٢". فكيف يوصف يعقوب بالكرم وأبوه وجده ثم يفرق بين والدة وولدها وهو ما يتنافى تماما مع الكرم والصلاح ومحاسن الأخلاق .

كل ذلك لا يصح اعتقاده ولا نسبته لنبى كريم من سلالة الكرام عليهم السلام .

وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله .

---

١ – أخرجه الترمذى رفى سننه أبواب السير بَابٌ فِي كَرَاهِيَةِ التَّفْرِيقِ بَيْنَ السَّبْيِ ص ١٣٤ ج ٤ قال حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ– والحاكم في المستدرك على الصحيحين ص ٦٣ ج ٢ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. وأحمد في المسند ص ٤٨٥ ج ٣٨.

٢ – أخرجه البخارى في صحيحه كتاب أحاديث الأنبياء– بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ} ص ١٥١ ج٤ .

الخاتمة

الحمد لله بدأ ومختتما، والصلاة والسلام على خيـر رسـله فضـلاً ونسباً.

وبعـد ،،،

لقد عشت مع هذا المخطوط العظيم فأفدت من علمه الكثير وعلى الرغم من ورود الدخيل فى تفسيره فإن ذلك لاينقص من قـدره ، وحـرى بالباحثين في الدراسات التفسيرية أن يهتموا بمثل هذه المخطوطات تحقيقـا ودراسة لما حوته من فرائد ومعان غزار قلّ وجودها فـي غيرهـا مـن التفاسير

أما أهم التوصيات التى أود التنويه إليها فا ختصرها فيما يلى :-

١- العمل على نشر أبحاث الدخيل مطبوعة مع تفاسيرها حتى تعم الفائدة بهذه الأبحاث فلا تكون بمعزل عن القارىء للتفسير فيقع فى ظلمات الدخيل بأنواعه .

٢- أن تعمم دراسة الدخيل على جميع المراحل التعليمية فـى لاى ـالأزهر بهدف تنشئة أجيال قادرة على التصدى لحملات التشويه والطعـن فـى كتاب الله والتى ساعدها على بث سمومها وجود هذه المرويات والآراء فى تفسير القرآن.

والحمد لله الذى وفق وأعان . . .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة مراجع البحث

أولاً:- القرآن الكريم.

ثانياً:- كتب التفسير وعلوم القرآن

١	الإ سرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير/أ٠د/ محمد محمد أبو شهبه/ط/مكتبة السنة القاهرة
٢	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم/ للإمام أبى السعود محمد بن محمد العمادى ط دار المصحف بالقاهرة
٣	الإكليل في استنباط التنزيل – جلال الدين السيوطي – دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م
٤	بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي – دار النشر : دار الفكر – بيروت
٥	البحر المديد فى تفسير القرآن المجيد/ للإمام أحمد بن محمد المهدى/ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط أولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م
٦	تأويلات أهل السنة – محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان ط الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
٧	التحرير والتنوير / للإمام الطاهر بن عاشور/ط/ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤
٨	تفسير القرآن –أبو المظفر منصور بن محمد المروزى السمعاني – الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية

٩	تفسير القرآن العظيم – عبد الرحمن بن محمد ابن أبـــي حـــاتم – مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية – ط الثالثة – ١٤١٩ هـــ
١٠	تفسير القرآن العظيم/للحافظ عماد الدين ابن كثير /ط/مكتبـــةالإيمان ببريدة السعودية
١١	تفسير المنار / للشيخ الأستاذ محمد رشيد رضا/ط/الهيئة المصـــرية العامة للكتاب ١٩٧٣
١٢	تفسير مقاتل بن سليمان– مقاتل بن سليمان البلخى –الناشر: دار إحياء التراث – بيروت
١٣	التفسير والمفسرون– الدكتور محمد حسين الذهبى– دار الحـــديث بالقاهرة
١٤	جامع البيان فى تفسير القرآن / للإمام محمد بن جريـــر الطبـــرى/ ط/مكتبة ابن تيمية بالقاهرة تحقيق محمود محمد شاكر/ ط الثانية ٠
١٥	الجامع لأحكام القرآن/ للإمام أبى عبدالله محمد بن أحمد القرطبى ط/ عالم الكتب الرياض السعودية ١٤٢٣هـــ
١٦	الجواهر الحسان فى تفسير القرآن / للإمام الثعـــالبى/ط/ مؤسســـة الأعلمى للمطبوعات بيروت
١٧	الجواهر الحسان في تفسير القرآن – أبو زيد عبـــد الـــرحمن بـــن محمد الثعالبي –الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط الأولى – ١٤١٨ هـــ
١٨	الدخيل فى التفسير/أ٠د/ إبراهيم خليفه ط دار لبنان بمصر
١٩	الدخيل في التفسير د/ عبدالوهاب فايد

٢٠	الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / للإمام جلال الدين السيوطى/ط دار الفكر/ بيروت لبنان ٠
٢١	روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى/ للإمام شهاب الدين محمود الآلوسى ط/دار إحياء التراث العر بى ٠
٢٢	زاد المسير فى علم التفسير/ للإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى ط/ دار الكتاب العربى بيروت ط أولى ١٤٢٢
٢٣	عرائس المجالس للثعلبى
٢٤	الكشف والبيان – أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي النيسابوري– الناشر دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان ١٤٢٢ هـ-٢٠٠٢م
٢٥	لباب التأويل فى معانى التزيل/ للإمام حسن بن على بن محمد الشهير بالخازن ط/مصطفى البابى الحلبى وشركاه بمصر ط الثانية
٢٦	محاسن التأويل– محمد جمال الدين بن محمد القاسمي دار الكتب العلميه – بيروت ط الأولى – ١٤١٨ هـ
٢٧	معالم التنزيل / للإمام الحسين بن مسعود البغوى/ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع ط الرابعة ١٤١٧هـ
٢٨	مفاتيح الغيب / للإمام فخر الدين الرازى/ط/دار الفكر بيروت ط أولى ١٩٨١
٢٩	مقدمة في أصول التفسير محمد بن عبدالحليم بن تيمية –منشورات دار مكتبة الحياة بيروت لبنان
٣٠	منحة الجليل فى التنبيه على ما فى التفسير من الدخيل/أ٠د/ سيد مرسى إبراهيم ط أولى ١٩٨٥م
٣١	هميان الزاد إلى دار المعاد– محمد بن يوسف الإباضى

ثالثاً : كتب الحديث والتخريج والتراجم

٣٢	إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة – أحمد بن أبى بكر بن إسماعيل البوصيرى ط دار الوطن للنشر الرياض ط أولى ١٤٢٠هـ
٣٣	الإصابة في معرفة الصحابة – ابن حجر العسقلانى –ط مكتبة الكليات الأزهرية ط أولى
٣٤	إكمال تهذيب الكمال – علاء الدين مغلطاى – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ط أولى ١٤٢٢هـ
٣٥	تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة/للإمام على بن محمد بن عراق ط/دار الكتب العلمية بيروت ط الثانية ١٤٠١هـ ١٩٨١م
٣٦	الجامع الصحيح/ للحافظ محمد بن عيسى الترمذى/ط/ مصطفى البابى الحلبى مصر١٣٩٥هـ
٣٧	الجرح والتعديل – أبو حاتم الرازى – دار إحياء التراث العربى بيروت ط أولى ١٩٥٢م
٣٨	سلسلة الأحاديث الضعيفة الواهية – على حشيش
٣٩	السلسلة الضعيفه / محمد ناصر الدين الألبانى/ط/ مكتبة المعارف الرياض
٤٠	سنن أبى داود/ للحافظ سليمان بن الأشعث السجستانى/ط/إحياء التراث العربى،و ط دار الفكر ت/ محمد محى الدين عبد الحميد مع تعليق الألبانى
٤١	شرح التبصرة والتذكرة – أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط الأولى ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م

٤٢	شرح علل الترمذى – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي – مكتبة المنار – الزرقاء – الأردن – ط الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
٤٣	صحيح ابن حبان/ للحافظ محمد بن حبان التميمى/ط/ مؤسسة الرسالة بيروت ط الثانية ١٩٩٣م
٤٤	صحيح البخارى _ محمد بن إسماعيل – ط دار طوق النجاة ط أولى ١٤٢٢هـ
٤٥	ضوء القمر على نخبة الفكر /للإمام ابن حجر/ط/ دار المعارف بمصر/بقلم أ٠د/محمدعلى أحمدين
٤٦	العبر في خبر من غبر– شمس الدين الذهبى – ط دار الكتب العلمية بيروت
٤٧	العظمة /لأبى الشيخ الأصبهانى/ط/ دار العاصمة الرياض ط أولى ١٤٠٨هـ ت/رضاء الله بن محمد بن إدريس المباركفورى
٤٨	علوم الحديث / للإمام عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى/ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان ١٤٠١هـ ١٩٨١م
٤٩	عمل اليوم والليلة – ابن السنى أحمد بن محمد بن إسحاق –دار القبلة للثقافة الإسلامية ومؤسسة علوم القرآن بجدة بيروت
٥٠	الغيلانيات – محمد بن عبدالله البزار – دار ابن الجوزى الرياض السعودية ط أولى ١٤١٧هـ
٥١	الفتح السماوى بتخريج أحاديث القاضى البيضاوى /للإمام عبد الرؤوف بن علي المناوى ط دار العاصمة بالرياض ت/أحمد مجتبى

٥٢	الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة /للإمام محمد بن علـى الشوكانى/ط/ المكتب الإسلامى بيروت ط الثالثة ١٤٠٧هـ ت / عبد الرحمن يحى المعلمى
٥٣	الكامل في ضعفاء الرجال – أبو أحمد بن عدي الجرجاني –الناشر: الكتب العلمية – بيروت–لبنان
٥٤	اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة / للحافظ السيوطى/ط دار الكتب العلمية
٥٥	لسان الميزان – أحمد بن حجر العسـقلانى – مكتـب المطبوعـات الإسلامية
٥٦	المجروحين – ابن حبان البستى – دار الوعى حلب
٥٧	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ للحافظ نور الدين الهيثمى/ط/ مكتبـة القدسى القاهرة ١٤١٤هـ
٥٨	المستدرك على الصحيحين /للإمام أبى عبد الله الحاكم/ط/ دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ١٩٩٠م
٥٩	مسند الإمام أحمد/للإمام أحمد بن حنبـل/ ط المكتـب الإسـلامى/ط مؤسسة قرطبة القاهرة ت/ شعيب الأرناؤوط
٦٠	مشيخة أبى المنجى بن اللتى– مؤسسة الريان ط أولى ١٤٢٥هـ
٦١	مطالع الأنوار على صحاح الآثار – إبراهيم بن يوسف بن قرقول –ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر ط أولى ١٤٣٣هـ
٦٢	المعجم الأوسط /للحافظ أبى القاسم سليمان بن أحمد الطبرانـى/ط/ دار الحرمين القاهره

٦٣	المعجم الكبير /للإمام الطبرانى/ مكتبة ابن تيمية القاهرة ط الثانية
٦٤	المنار المنيف في الصحيح والضعيف – مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب ط الثانية ١٤٠٣هـ
٦٥	الموضوعات /للإمام أبى الفرج بن الجوزى /ط/ دار الفكر

رابعاً : كتب اللغة وكتب عامة

٦٦	أساس البلاغه / العلامه جار الله الزمخشرى/ ط/ دار صادر بيروت ١٩٧٩م
٦٧	إيضاح المكنون – اسماعيل باشا بن محمد امين بن مير البابـاني – دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان
٦٨	بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – جلال الدين السيوطى – المكتبة العصرية صيدا لبنان
٦٩	تاج العروس/ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى/ط/ دار الجيل
٧٠	تراجم المؤلفين التونسيين – محمد محفوظ – دار الغرب الإسلامى بيروت لبنان
٧١	التوقيف على مهمات التعاريف – محمد عبد الرؤوف المناوي – ط دار الفكر المعاصرالفكر – بيروت ، دمشق – ط الأولى ، ١٤١٠
٧٢	جمهرة أنساب العرب– أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي – دار الكتب العلمية – بيروت لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م – ط الثالثة
٧٣	خزانة الكتب

٧٤	الروض المعطار في خبر الأقطار – محمد بن عبد المنعم الحِميـــري – مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت – ط الثانية – ١٩٨٠ م
٧٥	شذرات الذهب في أخبار من ذهب –عبد الحي بن أحمد الحنبلـــي– ط دار الفكر بيروت ط أولى ١٩٧٩م
٧٦	القاموس المحيط/ للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبـــادى/ ط/ مصطفى البابى الحلبى بمصر ط الثانية ١٣٧١هـــ ١٩٥٢م
٧٧	الكتاب المقدس
٧٨	لسان العرب/ العلامة محمد بن مكرم بن منظور/ط/ دار صادر بيروت
٧٩	مختار الصحاح/ لأبى بكر عبد القادر الرازى/ط/ دار المنار القاهرة
٨٠	المصباح المنير/للإمام أحمد بن محمد الفيومى/ط/ المكتبـــة العلميـــة بيروت لبنان
٨١	معجم البلدان/ ياقوت بن عبد الله الحموى/ط/ دار الفكر بيروت
٨٢	معجم لغة الفقهاء– د محمد رواس قلعجـــي– دار النفـــائس للطباعـــة والنشر والتوزيع –بيروت – لبنان
٨٣	مقدمة ابن خلدون / ط/ دار الشعب
٨٤	هدية العارفين – إسماعيل باشا بن محمد أمين بن ميرالباباني

المحتـــــويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٦٤٦٦
التمهيد	٦٤٧٠
الدخيل في سبب نزول السورة	٦٤٧٧
الدخيل في تفسير الآية الثانية من سورة يوسف	٦٤٧٩
الدخيل في تفسير الآية الخامسة من سورة يوسف	٦٤٨٠
الدخيل في تفسير الآية التاسعة من سورة يوسف	٦٤٨١
الدخيل في تفسير الآية العاشرة من سورة يوسف	٦٤٨٢
الدخيل في تفسير الآية السابعة عشر من سورة يوسف	٦٤٨٤
الدخيل في تفسير الآية الثامنة عشر من سورة يوسف	٦٤٨٥
الدخيل في تفسير الآية التاسعة عشر من سورة يوسف	٦٤٨٧
الدخيل في تفسير الآية العشرين من سورة يوسف	٦٤٩١
الدخيل في تفسير الآية الحادية والعشرين من سورة يوسف	٦٤٩٦
الدخيل في تفسير الآيات الثالثة والرابعة والخامسة والعشرين من سورة يوسف	٦٥١٤
الدخيل في تفسير الآية الثانية والأربعين من سورة يوسف	٦٥٢٩
الدخيل في تفسير الآية السابعة والستين من سورة يوسف	٦٥٣٥
الدخيل في تفسير الآية السابعة والثمانين من سورة يوسف	٦٥٣٩
الدخيل في تفسير الآية الثالثة والتسعين من سورة يوسف	٦٥٤٤
الخاتمة	٦٥٤٩
المراجع	٦٥٥٠
الفهرس	٦٥٥٨